الأسـرة عند شعراء الأزهر المعاصرين قصيدتا (بلا صدى) و(بطاقة تهنئة للطفل فى عيده) للشاعرين : الدكتور (محمد العزب) والدكتور (محمود السمان) نموذجاً

الدكتـــــور
محمد محمد عبد الله حسن سلام
مدرس الأدب والنقـد
كلية اللغة العربية (إيتاى البارود)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمـــــة:

حمداً وثناءً يليقان بكمال الله وجلاله ، وصلاة وسلاماً على رسوله محمد بن عبد اللاه وآلــه وأصحابه أجمعين .

وبعـــد

فقد قيض الله الأزهر الشريف بشيوخه وعلمائه وأدبائه وشعرائه لصلاح المجتمع، وإضاءة السيل أمام الإنسان ليختط طريقاً راشداً فى حياته ، ولا ريب فى أن شعراءه ـ بما لديهم من وازع دينى بحكم تعليمهم الأزهرى ـ لديهم من الملكات والقرائح ما يعمل على إمداد المجتمع بطاقات خلاقة ذات أدوار متعددة ، إذ تعمل على شحذهم الأفراد ، وتدفعهم إلى أن يجدوا السير فى طرق الاستقامة إلى الأمام ، كما أنها تعمل من جانب آخر على تطمينهم بحمايتهم من الانحراف والزلق.

والأسرة تعد نواة ونموذجاً للمجتمع الذى لا تتحقق أهدافه إلا إذا توافرت له أسباب النجاح والأمن على مستوى أفراد الأسرة التى يتحلى أفرادها بالتقوى ، وتقوم علاقاتهم على التراحم والتعاون ، وتتسامى أفكارهم ورغباتهم.

وشعراء الأزهر بما لديهم من قيم روحية مستمدة من تعاليم الإسلام السمح قادرة على هداية الإنسان ، وإنارة حياته بنور الإيمان ، وهى كذلك قادرة على منحه ـ إذا حرم شيئاً ، لأنه لا يستطيع إنسان تحقيق كل ما يريد ـ طاقات لا حدود لها ، تعينه على تحقيق الخير والمحبة له ولغيره من أجل شرف الإنسان وسعادته سعادة حقيقية خالدة.

وشعراء الأزهر الشريف فى الطليعة ـ ولا غرو ـ فهم مشاعل النور والهداية والحرية ، ونشاطهم فى التعليم والتربية ، ونشر القيم الفاضلة له أثره

الفعال فى الأسرة والمجتمع ، ومن هؤلاء الشعراء الأفذاذ : الدكتور "محمد أحمد العزب" الذى يعد أحد أعلام شعراء العربية المعاصرين ، بل فى طليعة الأعلام دون مغالاة ، ولنا الحق فى أن نزهو به ، ونفاخر بشعره ، وبدوره فى تطور الشعر العربى.

ومن هؤلاء الشعراء كذلك : الدكتور "محمود على السمان" الذى لم يشهد لنبوغه الشعرى مثلى(١) ، فقد تعد شهادتى من قبيل مجاملة التلميذ للأستاذ ، وإن كنت لا أخفى إعجابى وتقديرى له وكذا للدكتور العزب عرفاناً ووفاءً ، ولكل أساتذتنا الأعلام ـ وما أكثرهم وأجدرهم ـ تدريساً وإشرافاً راقياً أميناً ، قد شجعونا على أن نتعلم بحب ، وأن نبدى الرأى بشجاعة أدبية ، وأن نتعاطى النقد بحيدة وموضوعية.

على أننى لم أكن لأسمح لنفسى كى أسترسل فى هذه المقدمة لمجرد مدح شاعرينا هذين ، أو غيرهما من شعراء الأزهر تملقاً أو تعاطفاً قد يؤدى إلى التعصب لكل ماهو أزهرى دون سواه ، ولكن الحقيقة أن المساحة الشعرية لدى شعراء الأزهر تبدو فسيحة ، غير أنها لم تحظ باهتمام كافٍ وشافٍ رغم التفوق الواضح لشعراء الأزهر، ولكن متابعة نتاجهم بما يستحقه لا تزال فاترة وقاصرة .

---

(١) من الشهادات التى يعتز بها الشاعر ـ ونعتز بها كذلك لصدروها من شخصيات رمزية ناقدة ومسئولة ـ شهادة الدكتور "عوض الله حجازى" ، والدكتور "أحمد عمر هاشم" الرئيسين الأسبقين لجامعة الأزهر راجع ذلك فى ختام ديوان : "مع القرآن الكريم" للدكتور السمان ، وراجع كذلك قصيدة للدكتور "عمر هاشم" لا يكتفى فيها بتهنئة الدكتور "السمان" ، وإنما هو يهنىء القراء بهذا الديوان ، حيث يقول :

أهديتنى يا خيرة الإخوان ديوانك العالى : "مع القرآن"

ثم يقول : عمل نهنئكم على إخراجه ونهنىء القرّاء بالديـــوان.

وهذا يعنى أننا نعيش مرحلة غير متوازنة حيال تعرض نتاج شعرائه إلى لا مبالاة ظالمة ، أو مبالاة تتعمد إهماله فى مقابل نشر مالا يعد شعراً يستحق النشر، وإنما هو زبد لايستحق حتى ثمن ورق النشر، ولذا فقد أوشك جمهور الشعر أن ينصرف ـ بكل أسف ـ لا أقول هذا : عن هذا الزبد ، فقد كان الأمر يهون ، ولكن أوشك أن ـ بسبب هذا الزبد ـ أن ينصرف عنه ، وعن غيره من الشعر الحقيقى المكنون بفعل فاعل!!

وهذا فيه من الخطورة ما فيه ، إذ يؤدى إلى الشتات ، وقد يؤدى هذا الشتات إلى إجهاض ذاكرة الأمة ، ويعمل على إصابة وجدانها بطعنة غائرة تؤثر فى حاضرها ومستقبلها.

إن الحصاد الشعرى لدى شعراء الأزهر فى حاجة ملحة إلى أن يلتفت إليه، ويعتنى به فى مرحلة تتسم بتداخل المفاهيم واختلال المعايير، واختلاط الأمور ، حيث غامت الرؤية ، أو غابت ، أو أضحت لا ترى إلا سرابا.

لـذا لا بد من العمل على مزيد من البحث لبلورة المفاهيم الجديدة ، وتجلية كل ما وعته ذاكرة الأمة التاريخية من خلال هذا الإبداع الشعرى القائم على إدراك قيم الحق والمحبة والخير والقدرة على الإلمام بكل ما يستحقه الإنسان .

وإذا كانت الأسرة فى المجتمع تتألف من أم وأب وأبناء وإخوة ....إلخ ـ إلا أنه قد لا يلتفت كثير من الناس ، وكذا الشعراء إلى العناصر المستضعفة فيها، أو يُلتفت إليها بقليل من الاهتمام والرعاية ، بل قد تعامل معاملة غير كريمة ؛ وهذا ما قد يجعل الرجل الشرقى متهماً حيال العناصر المستضعفة فى الأسرة ممثلة فى المرأة والطفل خاصة ، وقد ينسحب هذا الاتهام بدرجات مختلفة على الإسلام

الذي يدين به أكثر أهل الشرق ، وهو ما قد ينسحب على الأزهريين بوصفهم الدعاة الحقيقيين للإسلام والأمناء عليه.

ولذا كان اختيارى لهاتين القصيدتين ، إذ تعالجان شئون الأسرة من خلال تناول عنصرين مستضعفين بما يدحض زيف ما يرجف به المطعونون والمغرضون عن إهمال الطفل والمرأة والاستقواء على الثانية

بصفة عامة ، غير أن الشاعرين الأزهريين قد عالج أحدهما شأن المرأة فى أشد حالات استضعافها حين تكون عاقراً فى قصيدته "بلا صدى" باذاً بمعالجته الشعرية المتفيهقين عن تحرير المرأة ونيلها حقوقها. على أن هذا ما أيسره أمام معالجة الشاعر مالا سبيل إلى تحقيقه حين تكون عاقراً ، على أن شاعر الأزهر لم يكن ليدع سبيلاً للتعاطف معها ومشاركتها آلامها وآمالها فى ليلها ونهارها بتمثُّل أحلامها ومعاناة واقعها تخفيفاً عنها ، وإثارة لنا وتأثيراً فينا ، وتواصلاً معها إلى آخر العمر. ويكفى الأزهر فخراً أن ينال شاعره هذا الذى كان لا يزال يعد طالباً ناشئاً أن يتفوق فى هذه المعالجة الشعرية على كل الشعراء محققا المركز الأول فى جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان .

أما الدكتور "محمود السمان" فقد تناول فى قصيدته "بطاقة تهنئة للطفل فى عيده" عنصراً آخر من العناصر المستضعفة فى الأسرة ، إذ تعد هذه القصيدة وثيقة حب وحنان للطفل، وهى كذلك تعد وثيقة شكر للخالق الذى يهب الطفل ، كما أنها تعد ورقة عمل لحسن تربية الطفل وتعليمه وإعداده ، وهى مع ذلك كله تعد شهادة تقدير لمنهج الإسلام ورسوله (ص) فى ذلك .

إن العلاقة فى الأسرة بين الآباء والأبناء ، أو الرجال والنساء ليست حرباً[١] كما يتصور أو يرجف البعض بذلك، فقد جاءت القصيدتان برهاناً .

ساطعاً فى سماء الفن والشعر، ودليلاً ناهضاً على أن الأزهر سوف يظل بعلمائه وشعرائه الموئل المانع ، واللسان الصادح بالحق والخير النابع من قرائح واثقة ، ونفوس مؤمنة مقدرة، إذ ترعى حق كل ضعيف ، وتؤمن بأهمية دوره فى المجتمع الذى لا سلامة له ولا نجاء إلا إذا سلمت وأمنت جميع عناصره.

ولقد كان من دواعى اختيارى للقصيدتين كذلك تكاملهما فى الغاية ، وإن تباينتا فى التناول والمعالجة ، حيث تعالج الأولى حال العاقر فى حرمانها من أن توهب طفلاً يمنحها صفة الأمومة والامتداد ، فى حين تعالج الثانية رعاية الطفل والاهتمام بشأنه والاحتفاء به فى حال منحه لأسرته هبة من الله ، والشاعران بهذا يتكاملان إذ يعبران عن قدرة شعراء الأزهر على التناول والمعالجة الشعرية فى كل حال .

كما كان من دواعى اختيارى لهاتين القصيدتين أنهما لشاعرين رغم سامق منزلتها الشعرية إلا أنهما طرقا من خلالهما رحاباً جديدة للشعر لم تكن معهودة فى معالجات كثير من الشعراء ، حيث تبدو هذه التجارب ـ من وجهة نظرهم ـ يسيرة هينة ، إلا أنهما قد احتفظا من خلالهما للشعر بروحه السامية ، وللغة

---

(١) من ذلك قول بعضهم : "أنى لا أبالغ بالقول بأن العلاقة بين الزوجين أقرب إلى العلاقات السياسية التى تحكمها فنون الحرب والدبلوماسية والملاوعة والمراوغة منها إلى العلاقات العاطفية ـ إقرأ إن شئت عن ذلك : ماذا حدث للمصريين ؟ ـ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥م ـ ١٩٩٥م لـ د. جلال أمين ص ١٤٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م".

بحرمتها وسلامتها وسحرها عن طريق مواءمة ذكية ، إذ تواكب ذوق العصر وثقافته دون أن تنزلق لمهاوى العامية والابتذال ، أو تجنح إلى دهاليز الغموض والإغراب.

وإذا كان المنهج (الأكاديمى) يقتضى فى مثل هذه الدراسة أن ينهض الباحث بأمور من الاستقصاء والتحليل والتوصيف ، والانتهاء إلى الرصد وإصدار الأحكام ـ فإننى لا أدعى لنفسى سوى الاجتهاد ـ قدر

الطاقة ـ حباً ووفاء للأزهر وعلمائه وأدبائه وشعرائه الذين يتفانون من أجل خير المجتمع والإنسانية عامة .

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون على النحو الآتى:

المقدمة: وتحدثت فيها عن مضمون البحث وأهميته وجدارته بالدراسة وأسباب اختيارى له .

الفصل الأول : عن الشاعرين(١)، وهو فى مبحثين أولهما عن الدكتور "محمد العزب" ، وثانيهما عن "الدكتور محمود السمان" .

---

(١) أفردت الفصل الأول للترجمة عن الشاعرين ، وإن كانا غنيين عن التعريف ، لما قدماه لطلاب العلم والأدب ، وإنما كان ذلك اعترافاً بحقهما على من تعرف إليهما ، وأفاد منهما ، و كذا لتقديمهما إلى من لم يتوافر له ذلك من الأجيال اللاحقة ، إذ تتلقى إبداعهما دون أن تتعرف إلى أن وراء ذلك الإبداع مبدعاً جديراً بأن يجد من التقدير ما يستحقه ، كما أن هذه الترجمة تكشف جانباً من جوانب النص الإبداعى ، ومن حق الناقد ، بل من واجبه أن يستعين بكل وسيلة تعمل على إضاءة النص.

الفصل الثانى : الدراسة التحليلية للقصيدتين ، وهو فى مبحثين يسبقهما نص القصيدتين ، أما المبحث الأول فهو عن قصيدة الدكتور العزب ، وأما المبحث الثانى فهو عن قصيدة الدكتور السمان .

الفصل الثالث : الدراسة الفنية للقصيدتين ، وهو فى أربعة مباحث :

ـ المبحث الأول عن اللغة والأفكار فى القصيدتين .

ـ المبحث الثانى عن الصورة الشعرية فى القصيدتين .

ـ المبحث الثالث عن التجربة والعاطفة فى القصيدتين .

ـ المبحث الرابع عن الموسيقى فى القصيدتين .

الفصل الرابع: القصيدتان فى ميزان النقد الأدبى ، وهو فى مبحثين اثنين :

ـ المبحث الأول عن قصيدة الدكتور "العزب" فى ميزان النقد الأدبى.

ـ المبحث الثانى عن قصيدة الدكتور السمان فى ميزان النقد الأدبى.

الخاتمة: و بها أهم نتائج الدراسة .

ثم ثبت بالمصادر والمراجع، يعقبه **الفهرس** .

الفصل الأول
عـن الشاعـــرين

المبحث الأول : عن الشاعر الدكتور (محمد أحمد العزب)

ميلاده[1]:

ولـد: الدكتور محمد أحمد العزب فى الثاني عشر من شهر مارس عام ١٩٣٣م فى مدينة المنصورة ، محافظة الدقهلية.

تعليمه: سلك الدكتور العزب سبل التعليم الأزهرى فى مراحله المختلفة حتى تخرج فى جامعة الأزهر ، ونال الإجازة العالية فى اللغة العربية (الليسانس) عام ١٩٦٤م ، ثم نال درجة (الماجستير) ثم العالمية (الدكتوراه) فى الأدب والنقد.

عملـه: تدرج فى العمل الجامعى لهيئة التدريس منذ عين معيداً ، ثم مدرساً مساعداً ، ثم مدرساً للأدب والنقد ، ثم واصل ترقيه بين أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ، حتى صار عميداً لكلية اللغة العربية بالمنصورة.

نبوغـه ونتاجه العلمى والأدبى :

يعد الدكتور العزب نابغة من نوابغ لغتنا العربية ، ومثالاً فريداً نبيلاً لأستاذ اللغة العربية فى عصرنا تدريساً وتأليفاً وإبداعاً ، قولاً وعملاً ، فى جد ونشاط ومهابة ، ووعى يجمع بين الأصالة وبين التطوير داخل الجامعة وخارجها من خلال عمله بالجامعات العربية، ومشاركاته المتواصلة فى المؤتمرات والمهرجانات الأدبية والشعرية والمناقشات العلمية .

---

(١) اعتمدت فى ترجمة الدكتور العزب على مكالمة هاتفية ، وكذا مقابلة مع سيادته.

وقد ظهر نبوغه الشعرى وتفوقه فى قرضه فى مرحلة مبكرة من حياته بصورة تشهد بامتلاكه طاقات شعرية مقتدرة ذات ملكة أصيلة ، وموهبة فذة. ويشهد لذلك فوزه بالجائزة الأولى للشعر من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لعدة سنوات متتالية ، وهو لا يزال بعد طالباً فى مرحلتى الثانوية الأزهرية ، ثم المرحلة الجامعية متفوقاً على جميع الشعراء.

ودراساته الأدبية والنقدية القيمة ترفعه إلى مصاف الأدباء المطبوعين رغم جهده الدؤوب للارتفاع بمستوى هذى الدراسات وتطويرها مثلما عمل ـ وهو شاعر مطبوع كذلك ـ على تطوير الشعر العربى والارتقاء به .

ودراساته فى الفكر الإسلامي إضافة لما سبق تجعله ـ وهو أهل لذلك ـ موسوعى الفكر والتأليف.

ومن جهده ونتاجه العلمى والأدبى والشعرى : له فى الشعر عدة دواوين منـــــها :

١ـ أبعاد غائمـــة ٢ـ مسافر فى التاريخ ٣ـ أسألكم على معنى الأشياء.

٤ـ عن التعامد والانحناء فى فصول الزمن الميت

٥ـ فـوق سلاسلى اكتبنى !!

٦ـ تجليات شتى لامرأة ملأى بالفراشـــات !!

٧ـ الغناء فى شعر الجسد.

٨ـ أتمادى تحت سف الكناية ٩ـ تنويعات غنا درامية.

١٠ ـ الأعمال الشعرية الكاملة.

ومن دراساته الأدبية والنقدية:

١ـ مدارس الشعر الجاهلى ٢ـ الشعريـــة العربية

٣ـ شعـــرية المفارقة ٤ـ شياطين الشعراء

٥ـ طبيعة الشعر وتخطيط لنظرية فى الشعر العربى.

٦ـ فى الشعر الأموى

٧ـ مداخل إلى الشعر الجاهلى (أربعة أجـزاء).

٨ـ ظواهر التمرد الفنى فى الشعر العربى الحديث

٩ـ مناهج قراءة النص.

١٠ـ عن اللغة والأدب والنقد ١١ ـ أصول الأنواع الأدبية.

١٢ـ فى الأدب العربى : هوامش وإضاءات.

١٣ـ أصول التراجم الغيرية فى الأدب الحديث.

١٤ـ قضايا نقد الشعر فى التراث العربى (جزآن).

وله فى مجال الفكر الإسلامى والإنسانـــى :

١ـ الإعجاز القرآنى من الوجهـة التاريخية .

٢ـ الفكر الإسلامى من الوجهة الأدبية.

٣ـ الأمومة والطفولة فى الإسلام .

٤ـ قراءات فى خيال الذاكرة الإنسانية : مساحات للمقارنة.

وفى رحاب هذه المؤلفات وغيرها يجد القارئ زاداً فكرياً ناهضاً ، ومتعة أدبية وفنية آسرة تمنح العواطف من فيضها العذب ، وتشحذ الذهن ، وتدفع الفكر نحو النشاط والانطلاق إلى الإمام.

المبحث الثانى : عن الشاعر الدكتور (محمود على السمان)

ميلاده :

ولد الدكتور: "محمود على السمان " فى طنطا فى الثانى من سبتمبر سنة ١٩٣٠م.

تعليمه : كان الدكتور محمود السمان شغوفاً بتحصيل العلم منذ صغره، ولشغفه الشديد بتحصيل العلم جمع بين التعليم الأزهرى فى معاهده وجامعته ، وبين التعليم العام فى مدارس التربية والتعليم وجامعاتها.

تفوق الدكتور السمان فى تعليمه الأزهرى منذ المرحلة الابتدائية حيث كان من الأوائل على مستوى الجمهورية ، وتفوق كذلك فى الابتدائية العامة حيث كان من الأوائل كذلك. ثم حصل على (الإجازة العالية فى اللغة العربية (الليسانس) -بجامعة الأزهر سنة ١٩٥٣م ، وحصل كذلك على الثانوية العامة والتحق بكلية الآداب بجامعة "عين شمس" ، ومن عجب أنه التحق هذه المرة بقسم اللغة الإنجليزية ، ثم حصل على الدبلوم العام ، ثم الخاص من جامعة عين شمس ، والتحق بالدراسات العليا فى جامعة الأزهر فنال "الماجستير" ، ثم نال "الدكتوراه" سنة ١٩٧٣م فى موضوع "غايات الأدب فى مجتمعنا المعاصر بين النظر والتطبيق" وقد قامت "دار الشعب" بطباعتها سنة ١٩٨١م.

عمله : عين الدكتور "السمان" مدرساً للغة العربية فى كلية التربية جامعة طنطا سنة ١٩٧٥م ، ثم رقى أستاذاً مساعداً ووكيلا لكلية التربية فرع جامعة طنطا فى كفر الشيخ سنة ١٩٨٠م ، ثم رقى أستاذاً وعميداً لكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر فى دمنهور.

ولما نقل مقر الكلية إلى إيتاى البارود كان "الدكتور السمان" هو أول عميد لها ، واستمر عميداً حتى تفرغه فى ١٢/ ٩/ ١٩٩٥م.

وقد اختير الدكتور "السمان" رئيساً لنادى أعضاء هيئة التدريس بالوجه البحرى ، وهو عضو اتحاد كتاب مصر ، كما أنه عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمى.

نشاطه ونتاجه العلمى والأدبي والشعرى:

شارك الدكتور "السمان" فى عديد من المؤتمرات العلمية والمهرجانات الشعرية والأدبية ، كما أشرف على عديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى الجامعات المصرية المختلفة.

وقد أغنى مكتبتنا العربية والإسلامية والأدبية. فله ديوان شعر: "مع القرآن الكريم" وهو فى (جزئين)[1].

---

(١) عن الشاعر وهذا الديوان كتب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى صحيفة الأهرام الصادرة فى ١٣/ ١/ ١٩٩٥م تحت عنوان : "الشاعر .. ومعجزة السماء" : الشاعر المبدع الدكتور محمود على السمان ظاهرة فنية جديدة فى شعرنا المعاصر: كنا نقرأ له قصائده الجميلة المؤثرة الموشاة بالأمل والألم ، وبالسحر والخيال فى شتى تجارب الشعر فيهزنا إبداعه ، ويملك علينا مشاعرنا بروائعه. واليوم يطالعنا بشعر جديد فى ديوانه بجزأيه الذى يصدر بعنوان : "مع القرآن الكريم " استظل فيه بظل المعجزة الخالدة... عنوان الديوان وموضوعه ، وأهميته كظاهرة فنية جديدة فى شعرنا اليوم ـ جدير بأن يلتفت إليه الشعراء والنقاد ، وأن يكشتف المحبون للشعر من خلاله هذا اللون الجديد فى القصيدة العربية ..

والشاعر فيما يحاوله من الاقتراب من معانى آيات كتاب الله الحكيم ، والاغتراق من منهله الكوثرى ، والاقتباس من جلال ألفاظه ، وشموخ أساليبه ، وعظمة صياغاته ـ حرى=

ومن مؤلفاته العروضية: العروض القديم : "أوزان الشعر العربى وقوافيه " ، والعروض الجديد : "أوزان الشعر الحر وقوافيه".

ومن دراساته الأدبية والنقدية: عمود الشعر فى النقد العربى ، ودراسات فى اللغة والأدب والنقد ، وفى تاريخ الأدب العباسى ومصطفى صادق الرافعى شاعراً ، ومصطفى صادق الرافعى ناقداً ، وإسماعيل سرى الدهشان.

وله كتاب : التوجيه فى تدريس اللغة العربية. وقد قرر تدريس بعض مؤلفاته لطلاب المراحل التعليمية المختلفة فى التربية والتعليم والأزهر الشريف ، مثل كتاب : "الأدب والنصوص" الذى قرر تدريسه لطلاب المعلمين والمعلمات بالتربية والتعليم.

وكتاب الدراسات اللغوية الذى قرب تدريسه فى برنامج تأهيل معلمى المرحلة الابتدائية الأزهرية للمستوى الجامعى سنة ١٩٨٣م ،

وله كتاب : من أدب النبوة .

ومن مؤلفاته النحوية والصرفيه: اليسير فى النحو وتطبيقاته (جزآن). واليسير فى الصرف وتطبيقاته (جزآن).

أخلاقه وتواضعه :

يتمتع الدكتور "السمان" بأخلاق عالية ، ويتحلى بأدب رفيع ، وتواضع مهيب ـ حتى بعد أن جاوز السبعين من عمره ـ يجلس ممسكاً بقلمه وكراسه فى المناقشات العلمية إن لم يكن مشرفاً أو مناقشاً ، فيسأل عم يفعل وهو عميد اللغة العربية ؟ فيجيب : إنى أجلس لأتعلم ، وأنا أريد أن أسجل ما أتعلمـه!!.

بأن نقدره ، ونحمد له هذا النهج الجديد فى كتابة الشعر ، والارتفاع بمكانة القصيد فى البلاغة والبيان والإعجاز والروعة والإمتاع وقوة التأثير.

الفصل الثانى :

الدراسة التحليلية للقصيدتين

نص القصيدتين :

أولاً : قصيدة : بلا صدى[1]

سمها إن شئت بلا صدى.. أو إن شئت فسمها خواطر عاقر..

شعر الأستاذ الدكتور (محمد أحمد العزب)

١ـ جَنَّ المساءُ . ولم أزَلْ حَيْرى على الدرْب البعيدْ

٢ـ أتَلمَّس الدفْءَ الحنو ن يشِعُّ من عيْنَي وليدْ

٣ـ وأكاد أنتهبُ الخُطا للفجر. للأمل الشهيدُ

٤ـ لكنني أبدأ أعو د وفي يديَّ صدى النشيدْ

❁ ❁

٥ـ جن المساء . ولم يزل مهْدُ الصغير بلا صغيرْ !

٦ـ لا شيءَ. غير حطام أمـ ـنيةٍ هناك. على السريرْ

٧ـ وضبابِ أشواقٍ ممز قةِ الأغانى. والعبيرْ

٨ـ وطيوف آمال مبعـ ـثرةٍ على المهد الوثيرْ

❁ ❁

---

(١) فازت هذه القصيدة بالجائزة الأولى للشعر من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة ١٩٦٠ م.

٩ـ عيناي ترتعشان فى الـــ أفق المنمنم بالنجـــــومْ

١٠ـ وأنا أصيخ إلى بكـــا ءِ صغيرِ جارتِنا النئـــومْ

١١ـ وأحسُّ لذْعَ النارِ فـــى قلبى. وولولةِ الغيـــومْ

١٢ـ فأصُمُّ سمْعى دونـــه وأَضِيع فى حلَك الهمـــومْ

١٣ـ أبداً يحوِّم خلف أســـ تِارة النوافذِ خاطـــري

١٤ـ متنقلاً بين المهـــو دِ البيض. مثْلَ الطائـــرِ

١٥ـ فيضمُّها بجناحـــه الـر رفاف ضمـــة عابـــر

١٦ـ ويعود مختنقَ اللهـــا ةِ بدمعـــه المتناثـــر

* *

١٧ـ وأنا مخبَّلة العـــوا طف أرهفَ الحرمـانُ حُبي

١٨ـ إنْ لاحَ لي طفـل ظمئـْ تُ إلى ابتسامته بقلبـــي

١٩ـ ورأيتُ في عينيه أشـــ واقى. وأشواكى . وجدبي

٢٠ـ وصراخَ أيامي المهيـــ ـضِ يهزُّ آفاقي ودربـــيْ

* *

٢١ـ قلبى الذي أوْدَي به الـــ حرْمانُ مشدودٌ إليـــهْ

٢٢ـ وخريفُ أحضاني المبعـــ ثَرْ فى الثرى باكٍ عليـــهْ

٢٣ـ ويداى باحثتـــان فـــى ليل الشـرودِ على يديـــهْ

٢٤ـ لو كان لى . لأرَقْتُ أيـــْ يامى ضراعاتٍ لديـــهْ

*

٢٥ـ لكننى أصحو . وأغـــْ فو. وهْو ما زال ظنونـــا

٢٦ـ أتُراه يُسْرف في الـــدلا لْ لكى أزيدَ به فتونـــا ؟

٢٧ـ إنى أحبـُّك يا صغيـــ رى خاطراً. حلواً. حنونـــا

٢٨ـ أفلا أحبُـك ملْءَ أحـــ ضانى . تناغمُنى اللحونـــا؟

* *

٢٩ـ بـهَوَاكَ. لو أقبْلتَ . رفـ فافَ العواطفِ والشعـــورِ

٣٠ـ تنسابُ فى بسماتك الـ ـعذراءِ أسرارُ العصـــورِ

٣١ـ لنثرت فوق دروبك الـ بيضاء آلاف الزهـــورِ

٣٢ـ ومهَدتُ من قلبى لو ثـْ ـبك ملعباً ضاحى البكـورِ

* *

٣٣ـ أمْ يا تُرى أني أُنـــا غْمُ فيك وهْماً ضائعـــاً

٣٤ـ وأعيشُ منك على ربا الـ أحلامِ حلماً دامعـــا؟

٣٥ـ يعوى الفراغُ بقلبي الـــذ ذاوى رهيباً. جائعـــا ؟

٣٦ـ وأنا هنا قبَسٌ يغـــا ـلبُ فى الدُّجون زعازعـــا ؟

* *

٣٧ـ هذى أنا صوتٌ تحـــط طم فى حواشيه الصـــدي

٣٨ـ وسرابُ دنيا من خـــيا لاتِ تلقَّفَها الـــــردى

٣٩ـ وحطامُ سوسنة تـــلا شى العطرُ فيها والنـــدي

٤٠ـ ودموعُ ليل أطفـــأتْ فيه الدياجـــي فرقـــدا

*

٤١ـ أأعيشُ عمرى فى ضـــبا بِ الوهمِ بلهـاءَ الرجـــاءْ

٤٢ـ كالطيف . لا غَدَ لى . ولا ماضٍ أخلِّفـــــه وراءْ ؟

٤٣ـ يا للجراحات التـــى تمتصُّ أعماقى الظَّمـــاءْ

٤٤ـ وتلفُّنى فى ليـــل آ لامِ جريحِ الكبريـــاءْ

* *

٤٥ـ العشبُ فى صدر الحقـو لِ طفولـةٌ متناغيـــةْ

٤٦ـ والزهرةُ الغيداء بنـــ ـتُ الدوحـةِ المتهاديـــةْ

٤٧ـ والموجة العـذراء هنـ ـسُ اللجَّةِ المتراميـــةْ

٤٨ـ لِمَ لَمْ أكُنْ شيئاً خصيـ بآ أو حـياةً باقيـــةْ؟

٤٩ـ لم لم أكن أُمَّا أُرقـ قِصُ مهْدَ طفلي فى مـراخْ ؟

٥٠ـ وأهزُّه حـتى ينـا ... مَ معطراً برؤى الصـباحْ ؟

٥١ـ وأَهيِمُ فى حلم شفيـ ... فِ الومْـضِ رفَّافِ الصداحْ ؟

٥٢ـ جذلانـة الآفاق تعـ ... زف لحن أفراحي الريـاحْ ؟

* *

٥٣ـ أنا سوف أحيا فى فضـا ... ءِ العش توهـاءَ الحنـينْ

٥٤ـ تتراكضُ الآهـاتُ فى ... صدرى . ويخنقنى الأنـينْ

٥٥ـ لكننى سأعيشُ حـا ... لمةً بأشـواق السـنينْ

٥٦ـ بصغيرىَ المنشـودْ أو ... أقضى معفَّرةَ الجبيـنْ!![1]

---

(١) انظر القصيدة فى الأعمال الكاملة للشاعر الدكتور أحمد العزب ضمن ديوانه الأول: أبعاد غائمه: ص ٦٦٨ وما بعدها . الطبعة الأولى ١٩٩٥م ـ ١٤١٥هـ.

ثانياً : قصيدة: بطاقة تهنئة للطفل فى عيده

شعر الأستاذ الدكتور " محمود على السمان "

١ـ عِشْتَ .. بالوجـه المنضَّـرْ طِبْتَ.. بالثغر المعطَّـــرْ
٢ـ يا جميلاً وجمـالُ الـــ كونِ فيه يتصـــــوَّرْ
٣ـ يا حبيباً ليس ينمـــــو بسوى الحُبِّ ويكْـــبرْ
٤ـ أنت فى صحراء روحـــى نسمةٌ تهْفو وتخْطـــرْ
٥ـ وإذا ما غـامَ أفْـــقٌ كنتَ نوراً فيه أُبْصـــرْ
٦ـ أنت إن أقبَلْـتَ ولَّى الـــ همُّ من نفسى وأَدبـــرْ
٧ـ فإذا تنطقُ فالبهـــــ جةُ فى قولك تقْطُـــرْ
٨ـ وإذا تلحنُ كـــان الـــ لحْنُ كالشُّهـد المكـــررْ
٩ـ أنت إنْ تضْحُ فشمسُ الـــد دفءِ تعلونا وتغْمـــرْ
١٠ـ وإذا ترقدُ فالفتـــــ نةُ من مهدك تصـــــدرْ
١١ـ كلُّ لونٍ فيك يُغْـــرِى أسودُ اللـــونِ كأشقـــرْ
١٢ـ كل فعْل منك يحْلُـــــو كل قول منـــك يُؤْثَـــرْ
١٣ـ أنت كالزهْـر رقيـــقٌ أنت كالتفـــاح سكَّـــرْ
١٤ـ نعمةٌ أنت تناهَـــــتْ وهناءٌ ليس يُنكَـــــرْ
١٥ـ لستُ أفْديك بروحـــى أنت بالدنيا وأكـــثرْ
١٦ـ يا مثالاً جلَّ مَن ســـو واك يا طفـلُ وصـوَّرْ

١٧ـ فإذا شاهـدتَ طفـلا فتأمَّـلْ وتفكَّـرْ

١٨ـ كل ما فيه .. جميـل ناطـق : " اللهُ أكـبرْ"!

١٩ـ لقِّنوه العلْـمَ سهْـلاً واكتبـوا المنهجَ أخصـرْ

٢٠ـ اجعلوا الحِمـلَ خفيفـاً فهْـو مثْلُ الزَّرعِ أخضـرْ

٢١ـ هو ذو ظَهْـرٍ ضعيـف فإذا أُثْقِـل يُكسَـرْ

٢٢ـ اغرسـوا الرحمـةَ فيـه ليواسى من تكـدَّرْ

٢٣ـ وازرعوا العفـة فيـه ليعادي كـلَّ منكَـرْ

٢٤ـ واخلقوا العـزةَ فيـه ليجافـي ما يُحقَّـرْ

٢٥ـ وأعِـدُّوه لحـقٍّ لا لكـى يطغـى ويَقهَـرْ

٢٦ـ واجعلوا " الصديقَ " يبـدو فيه .. و"الفاروق " يظهـرْ

٢٧ـ اسألوا التاريخ عمَّـن بهم التاريخُ يفخـرْ

٢٨ـ لَحَنـانٍ كـان للأطـ ـفال فيهم يتفجَّـرْ

٢٩ـ ولقد كان رسولُ اللـ ـهِ فى ذلك يبهِـرْ

٣٠ـ قصـةُ الأطفـالِ مِـن آ لِ رسـولِ اللهِ تُذْكَـرْ

٣١ـ يمتطون الظَّهـرَ منـه إذ يصلِّى ويكـبِّرْ

٣٢ـ وهْو يمضى فى سجـود ويطيلـون فيصـبِرْ[1]

---

(١) نشرت هذه القصيدة فى صحيفة الأهرام المصرية فى ١٣/ ٣/ ١٩٩٩م.

المبحث الأول :

قصيدة " بلا صـدي " دراسة تحليلية

جـو القصيدة :

تعد هذه القصيدة من بواكير شعر الدكتور (محمد العزب)، فقد أرخ لها فى ١١/ ٩/ ١٩٥٨م ضمن ديوانه الأول (أبعاد غائمة) الذى صدر سنة ١٩٦٢م. وقد أشار الشاعر فى مقدمة أعماله الكاملة إلى أنها قد انتظمت أشعاره منذ سنة ١٩٥٨م إلى سنة ١٩٩٤م(١).

والقصيدة ـ على ما نظن ـ تعد تجربة جديدة طريفة ، تعبر عن محاولة ذكية بارعة غير مسبوقة ، على أن ماتلحظه بين ثناياها من قلق ظاهرى يرجع إلى نفسية الشاعر المعذبة والموزعة ، حيث نجح الشاعر فى أن يتعاطف مع تلك العاقر تعاطفاً يصل إلى حد الاندماج ، فكان حديثه عنها حديثاً عن نفسه، ولذا كان فرحه عظيماً ، قد صنع منه أنشودة وأغنية فى قصيدة رائعة حين رزق بطلفه الأول(٢) رائد " التى أرخ لها فى ١٤/ ١٢/ ١٩٦٦م.

---

(١) لم يتوقف عطاء الشاعر الكبير ـ أمد الله فى عمره ـ عند هذا الحد ، فقد صدر له بعد ذلك عدة دواوين منها : الغناء فى شعر الجسد ، ثم ديوان : أتمادى تحت سقف الكناية ، ثم ديوان: تنويعات غنا درامية.

(٢) يقول فى قصيدة "أغنية حب" إلى طفلى الأول (رائد) :

لو كنت يا بـنى ..

فى تشـوقى المزقــزق !!

خيرت فيـــك !!

ما انتقيت ما السماء تنتقى !!

فأنت ذوقها المهل ..

وإذا كان شاعرنا قد وصف أولاده (رائد .. ووائل .. وطارق) وهو يهدى إليهم ـ بعد والدته ، وزوجته ـ أعماله الشعرية الكاملة بأنهم: أحلى ما أعطته الأيام "ـ فإنه فى قصيدته البكر التى بين أيدينا تنطلق اهتماماته الشعرية من منابع إنسانية ذات فكر راق ، ومشاعر فياضة، وعواطف جياشة.

والقصيدة على ما فيها من طيوف رومانسية شفيفة تشيع جواً من الأسى النفسى النبيل ، و تحلق بين ثنايا الطبيعة الحانية ، تتمثل الليل بظلامه ونجومه ، ووحدته وسكونه ، والنهار بطلعته وحبوره ، والنهر فى تدفقه ، والبحر فى لجته ، والشجر الزاوى حيناً ، وحيناً يكون متراقصاً متناغياً ، وارف الظلال والأغصان ، والأزهار ذابلة ومتفتحة ، كما يتمثل الأرض والسماء ، والفراغ والسراب ، والهواء والضباب فى مختلف الآفاق. إنها تصور الواقع بصدق فى يسر وسلاسة وقوة واقتدار تنمُّ عن قريحة فياضة ، وخواطر محلقه فى عفوية نابعـة من أعماق نفس ذات توجهات اجتماعية ، ونوازع إنسانية راقية تعبر عن رؤية تتبصر آفاقاً جديدة من التأمل والإحساس العميق بطبائع الأشياء إيماناً بأن كل شىء فى الوجود خليق بعناية الشعراء والأدباء.

يا لذوقـها النقـــــي!!

ما انتقيت ما السماء تنتقي!! ـ

الأعمال الكاملة : راجع القصيدة : ص ٨٩ ، ٩٠.

(١) راجع الإهداء فى مقدمة أعماله الكامله ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م ـ ١٤١٥هـ.

مـع الشاعر فى قصيدتــه:

معاناة العاقر ظلام الليل والوحـدة :

تشتد حيرة الحيران حين يدلف المساء، وما أشد حيرة العاقر فى سبيل البحث عن سبب تبدد به ظلام وحدتها، وتنعش جمود حياتها الباردة، وفى سبيل تحقيق هذا الأمل تجدّ السير كى تنال مناها، غير أنها لا تعود بسوى السراب، فها هو ذا المهد الذى هيأته وزينته ليستقبل وليدها يمر عليه المساء بعد المساء وهو لا يزال خالياً إلا من حطام الأمنيات ، وضياع الأغنيات فى ظلال من الأشواق المعذبة. وقد استطاع الشاعر أن يشعرنا بجو المعاناة التى تعيشها العاقر فى ليلها الطويل الذى لا تعرف متى ينجلى ؟ وكيف ؟ فقدم لنا عدة صور من معاناتها فى ليلها الذى لم يكن ـ كما هو الحال عند غيرها ـ ليل الراحة والدعة والسكن ، وإنما هو عندها ليل السهد والأرق، والوحدة والحرمان ، والبحث واللهث وراء أمل بعيد وئيد. يقول الدكتور العزب:

١ـ جــن(١) المساء . ولم أزل حيرى على الدرب البعيــد

٢ـ أتلمس الدفء الحنـــو ن يشع من عيني وليـــد

٣ـ وأكاد أنتهبُ الخطـــا للفجر. للأمـل الشهيـــدُ

٤ـ لكننى أبـداً أعـــو د وفى يـدي صدى النشيـد

---

(١) عاقر: يقال: عقر الرجل، وعقرت المرأة إذا لم يلدا، والجمع: عُقّر، وعواقر.
جن المساء: أظلم واستتر،وجن الليل: اشتد ظلامه. أتملس: أتطلب مرة بعد مرة.
أنتهب الخطا: انتهب الشيء أخذه، والمراد أسرعت ولم تقصر فى البحث عن سبله.
النشيد: الصوت. والطيوف: جمع الطيف، وهو ما يراه النائم، وهو الخيال الطائف .
الوثير: اللين الموطأ. والجمع : الوثار.

٥ـ جـن المساء. ولم يـزل مهد الصغير بلا صغـــير!

٦ـ لا شيء . غير حطام أمـ ـنية هناك. على السريـــر

٧ـ وضباب أشواق ممـــز زقة الأغانى. والعبـــير

٨ـ وطيوف آمـال مبعـــ ثرة على المهد الوثـــير

معاناة زائدة للعاقر أمام تحقق الأمل لدى غيرها

فى الليل عندما تخترق عيون النجوم ظلامه تظل العاقر عيناها تحملق فى أروقة الفضاء الزاخر، حيث تخترق سكونه أصوات بكاء طفل جيرانهم الذى نامت عنه أمه، فى حين لا يكاد يعرف النوم سبيلاً إلى عيون من لا وليد لها يملأ فضاء حياتها بأصواته العذبة الرخيمة حيويـة و بهجة ، ولذا فهى تحيا ـ لوحدتها ـ فى جو مطبق خامل إلا من إعوال الغيوم تألماً لاحتراق قلبها الكليم ، فلا عليها إلا أن تصم سمعها، وتذهب بها الهموم كل مذهب.

وإذا كان الشاعر قد استطاع أن يثيرنا فى الجزء السابق من القصيدة ويدفعنا إلى التعاطف مع العاقر بإعمال قريحته المبتكرة المحلقة المنطلقة من نطاق إلى آخر ، فمن نطاق الرمز المثير فى العنوان إلى نطاق تصوير الواقع المأزوم الذى أكد الشاعر تأزُّمه بتكرار الأسلوب الخبرى فى البيت الخامس، وكذا عن طريق تكرار أسلوب النفى الذى أعلن عن فراغ المهد الصغير، وهو ما يدل على الفراغ الذى يملأ حياتها؛ ومع التكرار يمنح الشاعر تلك العاقر مساحة من السرد تجعلها تحلق فى حنايا رومانسية قد لا تجدى شيئاً فى نظر البعض ، غير أنها قد تمنحها مساحة من البوح والتنفيس عن أزمتها، كما أنه يبرز مدى الاستعداد والأخذ بالأسباب للاحتفال بنعمة الله قبل أن تُنال، فما بال من أنعم الله عليهم ثم هم لا يقدُّرون ، ولا يشكرون. ـ إذا كان الشاعر قد عبر عن ذلك فإن شاعريته

المحلقة تنطلق مع العاقر لتخترق الأفق ، فتسجل حتى رعشة العين التى لا تنام ، والأذن الصائخة ، والقلب المحترق والعاطفة الملتاعة لمزيد معانة العاقر، إذ تراقب بكل حواسها بكاء طفل جارتها النئوم.

يقول الشاعر على لسان العاقر :

٩ـ عيناي ترتعشان فى الـ أفق المنمنم[1] بالنجـــوم

١٠ـ وأنا أصيخ إلى بكـــا ء صغير جارتنا النئـــوم

١١ـ وأحس لذع النار فـــى قلبى. وولولة الغيـــوم

١٢ـ فأصم سمعى دونـــه وأضيع فى حلك الهمـوم[2]

معاناة العاقر تبلغ بها حد الخبل:

ينطلق خاطر العاقر محلقاً بين مهود الأطفال البيضاء البريئة المضيئة كى تقر عيونها، وتحتويها ملء أحضانها ، لكن لم يكن ذلك إلا على سبيل نظرة العابر وعناق المسافر، إذ لايعقب ذلك إلا اختناق العيون والمشاعر بالدموع والزفير ، وتغدو العواطف متألمة حبيسة، حيث سكن الحرمان قلب العاقر ، كلما لاح لها طفل تبسمت من قلبها المرهف الذى يخالط تبسمه ألوان من الشوق والألم والافتقاد إلى ما يملأ عليها حياتها الكئيبة الكسيرة.

---

(١) المنمنم : المزخرف المرقش ، وأصيخ: أستمع.
ولولت : أعولت ، وأصم سمعى : أسده..

(٢) اعتمدت فى بيان معانى المفردات وتفسيرها على المعجم الوسيط فى طبعته الثالثة ، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ١٩٨٥م . وكذا القاموس المحيط فى طبعته الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٢هـ. نسخة مصورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م

وإذا كان الشاعر قد حلق بنا فى الأبيات السابقة ـ وهو يتمثل معاناة العاقرـ فى أجواء متباينة ، ما بين رمزية وواقعية وأخرى رومانسية فإنه فى الأبيات التالية يحلق بنا فى أجواء من الصوفية الشفيفة ذات مشاعر صافية وعاطفة تفيض حميمية وحباً ووجداً، غير أنها لفرط حبها تذكّر بمأثور القول: " ومن الحب ما قتل " إذ إن عاطفتها تكاد تبلغ بها حد الخبل ، على أن الشاعـر

وهو بسبيل تعمُّق ذلك بصدق ووعى وحذاقة فإن لغته الشعرية تبلغ ذروة الإشعاع الشعري فى التعبير عن ذلك على نحو ما نجد فى قولـه:

١٣ـ أبدا يحوم(١) خلف أسـ تار النوافذ خاطـري

١٤ـ متنقلا بين المهـو د البيض. مثل الطائـر

١٥ـ فيضمها بجناحه الـر رفاف ضمـة عابـر

١٦ـ ويعود مختنق اللهـا ة بدمعـه المتناثـر

١٧ـ وأنا مخبلـة العـوا - .طف أرهف الحرمان حبى

١٨ـ إن لاح لى طفل ظمئـ ت إلى ابتسامته بقلبـى

١٩ـ ورأيت فى عينيه أشـ واقى. وأشواكى. وجدبى

---

(١) يحوّم: يحلق . وخاطرى: فكرى وبالى.

الرفاف: المتحرك المضطرب . والعابر : المسافر.

اللهاة: من كل ذى حلق: اللحمة المشرفة على الحلق.

مخبلة : خبله أى حبسه أو منعه ، والخبل: الجراح، أو الفتنة من جراح أو غيرها.

جدبى: الجدب هو اليبس الذى احتبس عنه ما يخصبه .

المهيض: الكسير الذى تعاوده الإصابة مرة بعد مرة فلا يكاد يبرأ.

٢٠ـ وصراخ أيامى المهيـ ـض يهز آفاقى ودريـــى

العاقر بين اليأس والحرمان وبين الرجاء وتحقيق الأحلام :

يبلغ الشوق والحرمان بقلب العاقر وجوارحها كل مبلغ ، حيث تملك قلباً وحناناً تريد أن تمنح ذلك صافياً خالصاً لطفلها المأمول ، وإلا ذهب ذلك كله سدى وتبعثر فى ثرى لا يثمر فتستحيل الحياة يأساً وشروداً، ولذا فقد شرعت ترجو قدومه الميمون الذى يمثل لأيامها الماء بالنسبة للحياة.

وتتعاقب الليالي والأيام على العاقر فلم يزدها كر الغداة ومـر العشى إلا فتوناً بطفلها الذى تنتظر قدومه المشرق، فلطالما كانت تحلم به ، وهى تتهيأ لا ستقباله فى أبهى ما يكون ، وإذا كانت الحكمة تقول : " أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض ـ " فإن الدكتور العزب قد جعل قلب العاقر مهاداً للطفل وملعباً، فما بال قلب الأم؟!.

يقـول الشاعر الدكتور العزب:

٢١ـ قلبى الذى أودي به الـ حرمان مشـدود إليـــه

٢٢ـ وخريف أحضانى المبعـ ثر فى الـثرى باك علـيه

٢٣ـ ويداى باحتنان فـــى ليل الشـرود(١) على يديـه

٢٤ـ لو كان لى . لأرقت أيـ يامى ضراعات لديـــه

٢٥ـ لكننى أصحو. وأغـ فو. وهو ما زال ظنونـــا(١)

---

(١) الشرود: شرود الذهن : عدم انتباهه إلى ما يحيط به .

أرقت: راق صفا: أى جعلتها صافية من ما يعكر صفوها.

٢٦ـ أتراه يسرف فى الـدلا ل لكى أزيد به فتونـا ؟

٢٧ـ إنى أحبك يا صغيـ رى خاطراً. حلواً. حنـونا

٢٨ـ أفلا أحبك ملء أحـ ضانى. تناغمنى اللحونا؟

٢٩ـ بهواك. لو أقبلت. رفـ فاف العواطف والشعـور

٣٠ـ تنساب فى بسماتك الـ ـعذراء أسرار العصـور

٣١ـ لنثرت فوق دروبك الـ بيضاء آلاف الزهـور

٣٢ـ ومهدت من قلبى لو ئـ ـبك معلباً ضاحى البكـور

حياة العاقر وهم والطفل هو المستقبل :

تفيق العاقر من أحلامها الجميلة لتواجه الأوهام، وتعانى الفـراغ الذى لا ترى فيه سوى السراب الزائف ، حيث يظل اللاهث يجرى وراء مخايله حتى تتقطع أنفاسه، وتتبخر آماله،وتتحطم قوى العاقر، وتظلم الدنيا أمامها، فتبيت حيرى تتساءل عن جدوى حياتها الجديبة. وفى الأبيـات التالية يصور الشاعر تلك العاقر فى صور متفرقة فى معاناتها وآلامها وظلامها، حيث عمد الشاعر هذه المرة إلى أن يدثر صوره بغلالات من أجواء يخالطها قدر من سريالية وعبثية تبدو فيها العاطفة ملوعة ممزقة، على نحو ما يقول :

٣٣ـ أم يا تـرى أني أنـا غم فيك وهماً ضائعـا؟

---

(١) الظنون: الأوهـام.

الدلال: التدلل، وهو التملح والتظرف فى حب. الفتون: الإعجاب والتوله.

تناغمنى: تحادثنى حديثاً منغماً عذباً . والدجون : الظلام.

٣٤ـ وأعيش منك على ربا الـ أحلام حلما دامعـــا؟

٣٥ـ يعوى الفراغ بقلبى الـذ ذاوى رهيباً جائعـــا؟

٣٦ـ وأنا هنا قبس يغـــا لب فى الدجون زعازعا؟(١)

٣٧ـ هذى أنا صوت تحـط طم فى حواشيه الصـدي

٣٨ـ وسراب دنيا من خيـا لات تلقفها الـــــردي

٣٩ـ وحطام سوسـنة تـلا شى العطر فيها والنـدي

٤٠ـ ودموع ليل أطفـــات فيه الدياجى فرقـــــدا

٤١ـ أأعيش عمري فى ضـبا ب الوهم بلهـاء الرجاء

٤٢ـ كالطيف . لاغد لى. ولا مـاض أخلفـــه وراء؟

آهـات وفضاءات العاقر أمام خصوبة الطبيعة:

الطبيعة فى كل مظهر من مظاهرها تعبر عن الخصوبة والنمو والامتداد، لذا فإن العاقر تتحسر على حظها العقيم، حيث حرمت من أن تنعم بممارسة طقوس الأمومة حين تقوم بمناسك مراحل الطفولة بمهادها وصداحها، ونقائها وشفافيتها وأنسامها العطرة، ومراحها وأفراحها.

وإذا كان الشاعر- وهو بسبيل تصويره وتعبيره عن معاناة العاقر- يمزج بين الواقع والرومانسية ـ فإنه وهو يصور اشتباك العاقر بالطبيعة فى جو من الرومانسية الآسية البائسة المتحسرة لا كما كان الحال فى بدايات القصيدة حيث

---

(١) الزعازع : رياح شديدة. والمفرد : زعزع وزعزاع.
بلهاء الرجاء: البله ضعف العقل، وغلبة الغفلة. والقصد : ضعف وخيبة تحقيق الرجاء.

كانت الرومانسية تمنحها مساحة من البوح والتنفيس عن معاناتها، وهذا يعنى أن الشاعر قد بلغ بالتجربة إلى منحنى قد لا يجدى معه حلم أو بوح أمام حقيقة حياة جديبة لا تكاد تمطر،حيث إن ريحها عقيم.

يقـول الشاعر الدكتور العزب :

٤٣ـ يا للجراحات التـــى تمتص أعماقى الظمـاء

٤٤ـ وتلفـنى فى ليـــل آ لام جريح الكبريـــاء

٤٥ـ العشب فى صدر الحقـو ل طفولـة متناغيـــة[1]

٤٦ـ والزهرة الغيداء بنـــ ـت الدوحـة المتهاديـة

٤٧ـ والموجة العذراء همـــ ـس اللجة المترامیـــة

٤٨ـ لم لم أكن شيئاً خصيـــ باً أو حيـــاة باقيـــة؟

٤٩ـ لم لم أكن أما أرقـــ قص مهد طفلى فى مراح؟

٥٠ـ وأهزه حتى ينـــا م معطراً برؤى الصباح؟

٥١ـ وأهيم فى حلـم شفـــا ف الومض رفاف الصداح؟

٥٢ـ جذلانة الآفاق تعـــ زف لحن أفراحى الرياح؟

---

(١) متناغية : ذات كلام فيه ملاطفة وملاعبة.

غيداء: جميلة، تتثنى وتتمايل فى لين ونعومة ، والجمع : غيد.

الدوحة: الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة، والجمع : دوح.

المترامية : ترامى الشىء تتابع وازداد..

حلـم العاقـر بالطفل أمل قانم تموت بموتـه :

إن فضاء حياة العاقر إذا لم تعمره حياة وليد فسوف يختنق ذلك الفضاء بهمٍّ شديد يخالطه مع طول السنين أنين لا يفتأ يحلم بتحقيق حلم العاقر، أو أن تكون الحقيقة هى موت الحلم وموتها. يقول الشاعـر الدكتور العزب فى ختام القصيدة :

٥٣ـ أنا سوف أحيا فى فضـــا ء العش توهاء الحنيـــن

٥٤ـ تتراكض(١) الآهـات فـــي صدري. ويخنقنى الأنيـن

٥٥ـ لكننى سأعيش حـــــا لمة بأشواق السنيـــــن

٥٦ـ بصغـيري المنشـــود أو أقضي معفـرة الجبيـن!!

* *

(١) تتراكض : تسرع العدو وتتزاحـــــم.
أقضـى : أمـــوت.

المبحث الثاني :

قصيدة بطاقة تهنئة للطفل فى عيده "دراسة تحليلية"

جـو القصيدة ومناسبتها:

الطفولة مرحلة عمرية ذات خصوصية شديدة الأهمية بالنسبة لما يتبعها من مراحل عمر الإنسان، والإسلام يهتم بالطفولة ويرعى حقوقها من قبل الزواج بحسن تخير الزوجة التى تصير أما، وأثناء الحمل، وعند الميلاد والرضاعة والفطام، بل يبلغ الاهتمام بالأطفال بالحث على حسن تخُّير الأسماء لهم ، وهم ـ كما قال الله تباركت أسماؤه ـ: (زينة الحياة الدنيا)[1] ، وإذا كانت الآية الكريمة قد بينت أن (الباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملاً)[2] ـ فإن اهتمام الإسلام بالطفولة يكون هو الاهتمام الأرقى والأبقى ، إذ لا يقتصر الاهتمام على مظاهر الزينة، وإنما يهتم بتنشئتهم تنشئة سوية قائمة على الرحمة والعطف ، وحسن التربية ، وإعدادهم للمستقبل ليكونوا ذوى شخصيات مؤثرة فى مجتمعها، قادرة على أن تمنح هذا المجتمع من فكرها وإمكاناتها، من أجل النهوض به مثلما أمدها المجتمع من حنانه ، وأعدها خلال هذه السنوات الحاسمة التى فيها " تتم عملية الانتماء الاجتماعى بخصائصها و(ديناميتها) الأساسية، كما تشكل الهوية الذاتية التى يلعب المحيط الاجتماعى بمختلف مثيراته ، وأولياته ووسائطه الدور

---

(١) القرآن الكريم ، سورة الكهف : آية رقم ٤٦ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الكهف : آية رقم ٤٦ .

الحاسم فيها ... وتحدد السلوك وتوجهاته، وذلك من خلال تطبيق وتوجيه عمليات النمو فى مختلف أبعادها العاطفية والمعرفية والاجتماعية والجمالية"[١] .

وقد جاءت هذه القصيدة تبارك حياة الطفولة من مهدها،وتحتفى بألوانها الجميلة،وأقوالها العذبة،وسلوكها فى أفعالها البريئة،وأثرها فى أحوال حياتنا.

مع الشاعر فى قصيدتـــه

رجـاء ودعاء للطفل بامتداد جميل طيب لعمره

إذا كان العنوان ينبئ عن المضمون ـ فإن عنوان القصيدة قد أعلن عن فرح الشاعر بالطفل واحتفاله به، وما ذلك إلا لاهتمامه به وتقديره على كل المستويات ، وفى كل حال ، وكم كان الشاعر بارعاً وموفقاً فى الاستهلال ، إذ يستهل قصيدته بالدعاء للطفل أن يعيش ، حيث إن الطفل يولد رجاء أن يعيش، غير أن الشاعر لا يقنع بمجرد العيش ، وإنما أراد له أن يكون عيشًا طيباً جميلاً ، كما خلقه الله ـ تعالى ـ تقياً نقياً فى أبهى ما تكون الصورة ، يستمد الكون جماله من جمالها الفطرى الرائـع الباعث على الحب الفطرى الروحى كذلك ، إذ إن غذاءه الروحى

لا يعرف له مداد سوى الحب. يقول الشاعر الدكتور السمان فى مفتتح القصيدة:

عشت بالوجـه المنضر طبت الثغر المعطـر[٢]

يا جميلاً وجمـال الـ كون فيـه يتصـور

يا حبيباً ليس ينمـــو بسوى الحب ويكـبر

---

(١) مصطفى حجازى : ثقافة الطفل العربى ، ط/ المجلس القومى للثقافة العربية ، الرباط سنة ١٩٩٠م ص ١٥٦.

(٢) المنضر: الجميل الحسن. وطيت: طاب الشىء طيباً : زكا وطهر.

الروح سر الحياة والطفل سر جمالها:

إن جمال الطفل يفيض على الكون كله ، وحبه يشمل كل الطوائف، فكل الناس يحبون الأطفال، والحب بالنسبة للطفل قيمة كبيرة قبل أن يدرك معناه، فهو لبراءته لا يطلب شيئا إلا بمحبة، ولا يقول شيئاً أو يفعل شيئاً إلا بمحبة، حتى اللعب ، ولذا كان الشاعر موفقاً حين قال:

يا حبيباً ليس ينمـــو بسوى الحب ويكـبر

وما أصدق الرسول الكريم حـين قال:" ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصـرانه ، أو يمجسانه"(١) .

وإذا كان من المعلوم أن الروح هى سر الحياة فإن الشاعر الذى خبر الحياة درساً وتدريساً وأملا وتأملا يقدم لنا فلسفته الشعرية بعد أن جاوز السبعين عاماً أن حياة الروح تغدو صحراء إذا لم تمنح وتوهب طفلاً يحرك سكونها، ويضئ ظلامها ، وينسمها عبيراً يذهب بضيق النفس، حيث تولى جنود الهم هاربة آفلة أمام بريق البهجة التى تقطر من قيثارة كلامه البرئ الذى ينساب كاللحن الشهى مثل الشهد المكرر نتساقاه مع طلعة الصباح وإشراقة الشمس حين تطلع حانية ، وتغمرنا بدفئها، وليس هذا الجمال مقصوراً على حال صحوه، إذ إن نومه فى مهده الوديع مبعث لألوان من السحر والفتنة والبراءة التى لا تفارقه فى أى لون شاءت إرادة الخالق العظيم أن يتصور فيه. أفعاله كلها جميلة، وأقواله كلها أثيرة. يقول الشاعر الدكتور السمان :

٤ ـ أنت فى صحراء روحى نسمة تهفـــو وتخطر(١)

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

٥ـ وإذا ما غام أفـــق كنت نوراً فيه أبصـر

٦ـ أنت إن أقبلـت ولى الـ هم من نفس وأدبـر

٧ـ فإذا تنطق فالبهـــ جة فى قولك تقطـر

٨ـ وإذا تلحن كان الـــ لحن كالشهد المكـرر

٩ـ أنت إن تصح فشمس الـ دفء تعلونا وتغمـر

١٠ـ وإذا ترقد فالفتـــ نة من مهدك تصـدر

١١ـ كل لون فيك يغـري[٢] أسـود اللون كأشقـر[٣]

---

(١) تهفو: تتحرك وتهيب . وتخطر : تهتز.
غام: تغطى بالغيم فأظلم لاحتجاب الضوء، والأفق:الناحية، ومدى الاطلاع ، والجمع: آفاق.
تقطر: تسيل قطرات قطرة قطرة صافية نقية-- .
تلحن: لحن فلان بلغته أى تكلم أو بلغة بنى فلان أى تكلم بلغتهم
المكرر: المعاد مرة بعد مرة ، والقصد: المصفى
والشهد عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه ، القطعة منه شهدة، والجمع شهاد
الفتنة: الإعجاب بالشىء والتدله وتصدر: تنشأ.

(٢) يغرى: غرى به: تعلق قلبه به ولزمه كأنه ألصق بالغراء، والإغراء فى النحو: تنبيه المخاطب على أمر محمود ليلزمه
الأشقر: ما أشرب بياضه حمرة، المؤنث شفراء، والجمع شقر، وشقراوات.

(٣) لهذا البيت قصة طريفة حكاها لى الشاعر الدكتور السمان فى لقاء معه ، حيث ذكر لى أنه أثناء إلقائه هذه القصيدة فى إحدى أمسيات الشعر فى معرض القاهرة الدولى للكتاب،عندما بلغ الشاعر فى إلقائه إلى هذا البيت قام أحد الحاضرين من الجمهور من فرط تأثره باكيا مترجلاً مرتقيا إلى مكان الإلقاء معانقا الشاعر قائلا له : صدقت=

١٢ـ كل فعل منك يحلـــو كل قول منك يؤثـــر

١٣ـ أنت كالزهر رقيـق أنت كالتفاح سكـــر

الطفولـة نعمة بالغة تحتاج إلى عناية دائمـة

لا يملك الشاعر ـ أمام كل ما تمتع به الطفل من جمال ومحبة ورهافة ورقة ـ إلا أن يعلن إقراره بعظمة نعمة الخالق حين يمنح الزوجين طفلاً ، حيث إن من يمنح طفلاً يكون قد منح نعمة جليلة ينبغى تقديرها قدرها بشكر الخالق ، والقيام بالواجب نحو هذه النعمة البالغة من رعاية، وحنان ورحمة وتنشئة سوية كى يهنأ بنعمة ربه المتمثلة فى الطفل الذى يعلن الشاعر أنه لا يفتديه بروحه فقط ، بل بالدنيا وأكثر، وجلال هذه النعمة عطاء من "الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك""(١) ، فكل ما فى الطفل ناطق بجلال الخالق: الله أكبر. ولذا وجب على كل إنسان ذى عقل وفكر وحس أن يتفكر حين يرى طفلاً فى

صدقت والله صدقت. وكان هذا الرجل وكيلاً لوزارة الصحة ، ولم يرزق طفلاً. والقصة تلفت نظرنا إلى عظمة نعمة الله فى أى لون تكون؛ فجمال الطفل لا يقاس بكونه أبيض أوأحمر أوغير ذلك،ولكن بكونه نعمة جليلة وجميلة ، والمعول عليه فى جمالها هو وجودها وتحصيلها، فالبنون فى حد ذاتهم ، وفى أى صورة كانوا، (زينة الحياة الدنيا) ، وصدق الله إذ يقول : (هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء) وصدق الرسول الكريم إذا يبين للعالمين أن الأفضلية ليست باللون ولا الجنس إذ يقول "لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ، و لا لأسود على أحمر إلا بالتقوى" ـ راجع الحديث فى "السلسلة الصحيحة للألبانى" ، ولذا فقد صدق الشاعر فى صنع التشبيه القائم على طرفين متناقضين إلا أنهما مع تناقضهما يستويان فى كونهما نعمة جليلة ، واسألوا من حرم سوادها!!.

(١) سورة الانفطار: آية ٥ ـ ٨.

خلق الله حتي لو لم يمنح هذه النعمة، فكيف بمن أنعم الله عليه، وهو عن نعمة الله فى غفلة؟!. يقول : الشاعر الدكتور السمان:

١٤ـ نعمة أنت تناهـت[1] وهناء ليس ينكـر

١٥ـ لست أفديك بروحى أنت بالدنيا وأكـثر

١٦ـ يامثالاً جل من سـو واك يا طفل وصور

١٧ـ فإذا شاهدت طفـلاً فتأمـل وتفكـر

١٨ـ كل ما فيه .. جميل ناطـق: الله أكـبر

الطفل خلق جميل فى حاجة إلى تهذيب وتعليم كريم

إذا كان البيت التاسع عشر قد لخص رؤية الشاعر واهتمامه بجمال الطفل شكلاً، وأن كل ما فيه جميل ـ فإن الأبيات التالية تقدم لنا رؤية جديدة أو رؤية إضافية للشاعر، حيث أراد لهذا الشكل فى هذا الخلق الجميل أن يكون جميلاً كذلك فى جوهره وخلُقه وتنشئته وتعليمه منذ بداية قدرته على تلقى العلم الذى يتطلب البدء بالسهل اليسير ومراعاة المناهج وطرق التعليم حتى تكون سبل جذب وترغيب تنأى عن الصعوبة والعسف ، إذ إن الطفل نشء صغير لا يطيق عقله استيعاب مالا يقوى ظهره على حمله، وإذا كان الشاعر الحكيم يقول :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوّده أبـوه[2]

---

(١) تناهت : بلغت النهاية فى التمام والاستواء. أفديك: أستنقذك وأخلصـك.
سواك : قومك وعدلك وجعلك سوياً.

(٢) أبو العلاء المعرى : لزوم مالا يلزم ، ج٢ ، ص ٦٠١ ، دار صادر ، بيروت.

ـ فإن الحكمة تقتضى أن ينشأ الطفل منذ نعومة أظفاره على التراحم والتحلى بالعفة ، والترفع بالعزة حتى تتهذب أخلاقه ، وتستقيم مبادئه من أجل إعداده ليعرف حقوقه ويؤدى واجباته.

يقول الشاعـــر:

١٩ـ لقنوه(١) العلـم سـهلا واكتبوا المنهج أخصر

٢٠ـ اجعلوا الحمل خفيفاً فهو مثل الزرع أخضر

٢١ـ هو ذو ظهر ضعيف فإذا أثقـل يكســـر

٢٢ـ اغرسوا الرحمة فيـه ليواسى من تكـــدر

٢٣ـ ازرعوا العفـة فيـه ليعادى كـل منكـر

٢٤ـ واخلقوا(٢) العـزة فيـه ليجافـى ما يحقـر

٢٥ـ وأعـــدوه لحـــق لا لكـى يطغى ويقهر

التاريخ شاهد بعظمة الإسلام فى إعداد الطفل ورعايته

إذا كان البيت التاسع عشر قد لخص رؤية الشاعر حيال خلق الطفل وجماله ـ فإن البيت الخامس والعشرين قد لخص رؤيته حيال جمال أخلاقه وتربيته

---

(١) لقنوه: فهموه عن طريق إلقاء الكلام إليه ومنحه الفرصة ليعيده ويتمكن.
المنهج: الطريق الواضح والخطة المرسومة، والقصد: اتباع الأسس والطرق المناسة.
العفة: الكف عما لا يحل ولا يجعل من قول أو فعل.

(٢) اخلقوا العزة فيه: يقال: فلان يخلق ثم يغرى أى يقرر الأمر ، ويقال : رجل خالق أى صانع، ويقال: مخلقة للخير وبالخير: مجدرة والقصد: اجعلوه جديراً بالعزة عن طريق تثبيتها لديه وتنشئته عزيزاً يقهر: يرغم غيره على فعل ما بغير رضا.

وتعليمه وإعداده إعداداً حقاً ليؤدى دوره حيال المجتمع ، على أن الشاعر الذى برع فى استهلال قصيدته، قد برع كذلك فى حسن الختام ، حيث يقدم لنا نماذج فريدة فى تنشئة الطفل وإعداده وإمداده بكل السبل ، وفى كل الظروف التى تجعله إنساناً سوياً رحيماً قوياً مستقيماً ذكياً ، على نحو ما كان لدى الرعيل الأول من أمتنا الإسلامية مستقين ومقتدين بمن أرسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد النبى الأمين وأصحابه الميامين الذين كانوا أمثلة باهرة ونماذج رفيعة فريدة فى حسن رعاية الطفل وتربيته وإعداده إعداداً صنع منهم الأبطال والعلماء الذين صنعوا وشادوا بمنهج القرآن الكريم وهدى الرسول الحكيم أرقى حضارة عرفها التاريخ. يقول الشاعر الدكتور السمان فى ختام قصيدته :

٢٦ـ *واجعلوا الصديق يبدو* *فيه .. والفاروق يظهر*

٢٧ـ اسألوا التاريخ عمَّن بهم التاريخ يفخر

٢٨ـ لحنان كان للأط فال فيهم يتفجر[1]

٢٩ـ ولقد كان رسول الله فى ذلك يبهر

٣٠ـ قصة الأطفال من آ ل رسول الله تذكر

٣١ـ يمتطون الظهر منه إذا يصلى ويكبر

٣٢ـ وهو يمضى فى سجود ويطيلون فيصير

---

(١) يتفجر: مبالغة فى فجر بمعنى شق شقا يتشقق فينبع منه الماء ونحوه .

آل : أهل. وآل الرجل : أهله وعياله وأنصاره وأتباعه.

يمتطون : يركبون ، يجعلون ظهره مطية ، وهى تطلق على المذكر والمؤنث، فيقال على البعير: وكذلك الناقة مطية. والجمع: مطايا ومطىَ.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية للقصيدتين

المبحث الأول: عن اللغة والأفكار

أولا : قصيدة الدكتور العزب

الحديث عن اللغة والمعجم الشعرى لدى الدكتور العزب ، والبحث عن أثر ثقافته العربية الأصيلة فى طريقة صياغته واختياره مفرداته التى يؤلف منها أساس تجربته أمر لا ينكره إلا جاحد ، غير أن تعميم القول فى هذه الناحية قد يكون فيه ظلم كبير للشاعر، خاصة وأن قصيدته هذه من بواكير شعره، إذ إن متابعة شعره تشير بجلاء إلى احتفاظه بذاته خلف الكثير من المفردات والتراكيب والصور.

فمن صور تأثره بثقافته الأصلية قوله: "جن المساء" ، "الدرب البعيد"، وقوله: "مختنق اللهاة" ، "وصراخ أيامى المهيض" .

وقولـه: "يغالب فى الدجون زعازعا" ، "وأطفأت فيه الدياجى فرقدا"، ومن صور ابتكاره فى المفردات والتراكيب قوله : "الأمل الشهيد" ، "وحطام أمنية" ، "وضباب أشواق".

وقوله: "وطيوف آمال" ، "الأفق المنمنم" ،" وولولة النجوم".

وقوله : "أرهف الحرمان حبى" ، "وخريف أحضانى ".

وقولـه: "أسرار العصور" ، "يعوى الفـراغ".

والدكتـور العزب وإن حلق بين حنايا قصيدته فى بعض أجواء من الرومانسية إلا أن لغته جاءت نابعة من توجه يتعمق الواقع ، إذ يصور هموم الإنسان ، فيعبر عن آلامه وتطلعاته فى وجوه تنطوى على ألـوان من صراعه مع

الحياة ؛ وقد تباينت فى ذلك طرق تعبيره من خلال مزج رهيف يعبر بصدق عن حقيقة التجربة ومتغيراتها ؛ فهو رغم تعبيره عن معاناة " العاقر " لم يتخل عن أناقة التعبير المعبر عن اعتزاز بالذات الكليمة فى ألم نبيل على نحو ما نجد فى قوله : "العبير ، المهد الوثير، الطيوف، الرفاف ، الفتون".

وهو كذلك يتعامل مع مفردات الطبيعة بوعى فنجد مثل قولـه : "حطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى" ، "أطفأت فيه الدياجى فرقدا" ، "العشب فى صدر الحقول طفولة متناغية.."

كما نجده يتخفف من الخطابية والمباشرة حيث يحلق فى أجواء صوفية شفيفة من خلال ألفاظ تقدم" المعنى ملفوفاً فى غلالة رقيقة شفافة.. تفتح شهية المتلقى إلى كشف مغاليق الخفاء... وتدفع الذهن إلى النشاط ليلاحق الطاقات الشعورية التى توافية"[1]فى مثل قوله : "يحوم خاطرى" ، "ظمئت إلى ابتسامته بقلبى"، وقوله: "أرقت أيامى ضراعات لديه"، "بسماتك العذراء" ، وقولـه : "ودروبك البيضاء" ، "الموجة العذراء ...."

إن لغة الشاعر بصفة عامة تبدو طيّعة ، والشعر جارٍ ينساب فى عذوبة وتدفق والأفكار متآخية متسلسلة ، على أن القصيدة تعد عملا فنياً متكاملاً ذا فكرة واحدة تعرض جزئياتها فى تسلسل فكرى ، وتنامٍ فنى تلحظ من خلاله وحدة الجو النفسى الذى تسرى فيه موجات ذات شحنات منوعة ، مؤلفاً من غلالتها الشفيفة إطاراً عاماً لتجربته.

---

(١) د. نظمى عبد البديع : فى الأدب الصوفى ، دراسة تحليلية نقدية موازنة ص ١٩٣ .

الأسـلوب :

يتكىء الشاعر فى إبراز ملامح تجربته على أساليب ذات طاقات خاصة عن طريق الأساليب الخبرية حيناً ، والإنشائية أحياناً أخرى فى ألوان من التكرار أوالسرد والاستدعاء ، وخلق علاقات متنوعة بين هذه الأساليب وغيرها على سبيل التفصيل بعد الإجمال ، أو الإيضاح بعد الإبهام ، أو ترتيب النتائج بعد المقدمات،على أنه يراسل أحيانا أخرى بين الحواس.

وقد استهل الشاعر الدكتور العزب قصيدته بالأسلوب الخبرى الذى تحرك فى نطاقه محملاً بأعباء من الهموم ، معلناً عن تخبط العاقر فى سيرها وبحثها عن أسباب تحقق لها الامتداد

كما فى قوله :"جن المساء ولم أزل حيرى على الدرب البعيد"

وقوله : "أتلمس الدفء..."

ويتواصل الشاعر مع الأساليب الخبرية التى تأتى بالنتائج على نحو مانجد فى التقرير التالى : "فيضمها... ويعود مختنق اللهاة ..."

على أن الشاعر قد يجمع بين الخبر والإنشاء ليفضيان معا إلى التقرير فى مثل قـوله: إنى أحبك يا صغيرى خاطراً.." ، ثم قوله مستفهما:

"أفلا أحبك ملء أحضانـى"..؟

وهو يكثر من الأساليب الاستفهامية الدالة على التحير والتحسر وشدة الأسى الذى يبرز شدة حاجة العاقر إلى أن تمنح وليداً كما فى قوله:

"أتراه يسرف فى الدلال..؟"، وقوله: "أم يا ترى أنى أناغم ظبك وهما..؟".

أو قوله : "أأعيش عمرى فى ضباب الوهم؟"

وقوله: "لم لم أكن أما أرقص طفلى فى مراح؟"

على أن مثل هذه الأساليب الإنشائية المحملة بشحنات من الانفعال الحاد يكاد يخلو منها نصف القصيدة الأول تقريباً ، حيث كانت الهيمنة فيه للأساليب

الخبرية بمدلولاتها التقريرية ، لذا يبدو الشاعر منسجماً مع نفسه فى بناء تجربته التى يمنحها من خياله ومشاعره ما يجعله ينطلق بها من نطاق التقرير إلى أجواء الخيال وعوالم الأحلام والصور.

فمن التكرار قوله : "جن المساء ولم أزل" ثم قوله : "جن المساء ولم يزل.." وهو يؤكد عدم الحصول على المطلوب ، ويوحى باستبطاء تحقيقه ، أما السرد والاستطراد فى رسم الصور المختلفة فإن ذلك يناسب حال العاقر من أجل البوح والإفضاء ، وكثيراً ما تكون العلاقة تفصيلاً بعد إجمال على نحو ما صنع فى قوله : فى الأبيات من (١٨ : ٢٠) ، وقد تكون العلاقة نتيجة لما قبل كما فى البيت (١٦) حيث يقول : "ويعود مختنق اللهاة.." على أننا نجده يراسل بين الحواس كما فى قوله : "الدفء يشع من عينى وليد".

وإذا كان الأثر يقرر أن "أولادنا أكبادنا تمشى على الأرض" فإن شاعرنا الدكتور العزب قد مهد من القلوب ملعباً لأولادنا ، على نحو ما قرره فى الأسلوب الخبرى حيث يقول : "ومهدت من قلبى لوثـ بك ملعبا ضاحى البكور".

وهو يشفع هذه الصياغات الأسلوبية الدسمة بأصباغ عفوية من البديع فى بعض المواقف مثل حسن التقسيم والتوازن الموسيقى بين البيتين (٧ ، ٨) حيث يقول : وضباب أشواق ممز زقة الأغانـى والعبير .

وطيوف آمال مبعـ ثرة على المهد الوثير

وقوله فى البيتين (٤٦ ،٤٧) : والزهرة الغيداء بنـ ـت الدوحة المتهادية .

والموجة العذراء همـس اللجة المترامية .

والتقابل المعنوي بين حال العاقر وبين حال الولود فى البيتين (٩ ، ١٠) حيث يقول : عيناى ترتعشان فى الـ أفق المنمـنم بالنجوم

وأنا أصيخ إلى بكـا ء صغير جارتنا النئوم

والجناس بين قوله : أشواقى وأشواكى. والطباق بين : أصحو وأغفو.

ورغم أن هذه الأصباغ البديعية جاءت عفوية إلا أنها كان لها دور مهم فى أداء التجربة شكلاً ومضموناً ، "فالتقسيم" و"الجناس" يمنحان التجربة قدراً تنغيمياً مؤثراً. و"المقابلة" تظهر مدى ما بين حالى المتقابلين من تفاوت وبون شاسع يجسد عمق معاناة العاقر. والطباق يوحى باستمرارية معاناتها صبحًا ومساء دون أن تظفر بتحقيق حلمها.

المبحث الثانى : عن الصورة الشعريـة

أولاً: الصورة فى قصيدة الدكتور العزب

تعد الصورة الشعرية معياراً أساسياً ومقوما رئيساً من معايير ومقومات الشعر، ولذا يقول"الجاحظ" : " إنما الشعر صناعة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير"(١)، وإذا كان الأدب "لايعطى رأيا،إنما يشكل رؤية ، ولايعكس محاكاة مباشرة للواقع ،إنما موازاة رمزية له ، ومعادلاً موضوعيا لكل ما ينفعل به الفنان"(٢)ـ فإن الشاعر ليست وظيفته أن يقدم لنا أفكاراً ، وإنما يقدم لنا رؤية. وإذا كان النص هو العين التى تقف بنا على رؤية الشاعر ـ فإن صوره الشعرية هى سواده التى تضىء لنا هذه الرؤية.

يعمـد الدكتور " العزب " إلى تصوير الواقع كما هو موقعاً على الوتر نفسه الذى وقع عليه السابقون ألحانهم، ونسجوا صورهم، وحاكوا خيالهم، غير أنه لم يكن ليحبس قريحته المبدعة خلف ركام الماضى، حيث أعانته موهبته على أن يبتكر فى غير تكلف أو تعمل ، إذ إن موهبته منطلقة إلى حدود الرمز والإغراب المثير المعتمد على أسس من الأصالة دون أن يكون همه زينة لفظية.

وإذا كانت القصيدة ذات موضوع واحد فإن الشاعر قد استطاع أن يوائم بين صورها الجزئية والكلية وأن يحفظ لها وحدتها الفنية من خلال مزج رهيف، وترابط بديع، وتسلسل محكم ، مما جعلها تظل محتفظة بوحدة الأثـر العام ، فقد أبدع بناءها جزئية وكلية ، على نحو ما نجد فى الصور البيانية المتباينة فى أدائها ومدلولها مثل التشبيه التمثيلى فى قوله:

---

(١) الحيوان ، ص ١٢١، تحقيق عبد السلام هارون ، ط١ ، القاهرة١٩٢٨م.

(٢) د. طه وادى: شعر ناجى ، الموقف والأداة ، ص ٧٧.

أبدا يحوم خلف أســـ تار النوافذ خاطري

متنقلاً بين المهـــو د البيض مثل الطائر

فيضمها بجناحه الرفـ فاف ضمة عـابـر

ويعود مختنق اللهـــا ة بدمعـه المتناثـر

حيث يشتمل على ألوان من التفصيل والتركيب التى تنشد الكمال فى نقل الصورة.

وفى البيت رقم (٣٧) حيث يقول : هذى أنا صوت تحط طم فى حواشيه الصدى يقدم لنا تشبيها بليغاً طريفاً ذا مدلول رمزى لا أقول : إنه يفض بكارة الرمز فى العنوان الرمزى للقصيدة ، فقد فسره الشاعر بإشارة مجاورة له نص عليها بقوله : "أو إن شئت فسمها خواطر عاقر" ، وإذا كانت الصياغة الرمزية إيحائية ؛ والإيحاء فيها مرهون بأمور منها: " قدرة الشاعر على تمثيل أفكاره ومشاعره فى صور وأوضاع ذات أصل مادى ، وتتجرد هذه الصورة من بعض خصائصها الحسية المعهودة بحيث تومئ إلى المراد ولا تصفه تثيره ولا تسميه "[1]، فإن شاعرنا يحسب له ـ وهو فى مستهل حياته الابداعية ـ أنه يطرق سبل فنية جديدة طريفة ، وهو فى الوقت ذاته يريد للتجربة أن تكتمل بمراعاة حال المتلقى الذى كان من أجله هذا الإبداع .

وما أكثر التشبيهات التى أوردها مستمدة عناصرها من وحى الخيال وحنايا الطبيعة ليكون لكل منها دوره بصورة ما فى أداء التجربة مثل قوله: "وأنا

---

(١) د/ أحمد فتوح أحمد: الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر ص ٣٠٣ دار المعارف ، ط٣، سنة ١٩٨٤م.

هنا قبس..." ، "وسراب دينا ... "وحطام سوسنه .." ، وقوله : "أأعيش عمرى .. كالطيف ... " الخ.

وقد قدم لنا الشاعر كذلك ألواناً من الاستعارات التى تشكل لنا العاطفة كليمة أليمة كما فى قوله : "حطام أمنية"، وقوله : "أحسّ الذع النار فى قلبى"، وهما استعارتان مكنيتان. والاستعارة البديعة فى قولـه:

"ورأيت فى عينيه أشو اقى وأشواكى وجدبى"

حيث يصور عينى الطفل بالمرآة ، وسر بلاغتها أنها لا تصور عينى الطفل بالمرآة التى تعكس صورة المظهر الذى تتصور صورته على صفحتها،وإنما جعلها تترجم الأشواق والآلام ، وهى لا تتعلق بالمظهر، بل بالجوهر.

وكذلك الاستعارة التى تقدم لنا ـ إن جاز التعبير ـ صورة مغناطيسية فى قوله : "قلبى الذى أودى به الـ حرمان مشدود إليه"

وسر بلاغتها أنها تبرز قوة جاذبية نعمة الطفولة وضعف مقاومة القلب المحروم ...

وفى قوله: "تنساب أسرار العصور" استعارة فيها طرافة تجسد أسرار العصور فى صورة نهر تنساب مياهه فى تدفق وتتابع ، ليدل على أن الطفولة ، مثل المياه رمز للحياة.

ومن الاستعارات التى نسجها شاعرنا بحذاقة فنية أريبة ، تلك الاستعارة التى قدمها فى صورة ذات أبعاد سيريالية إلا أنها تأتنس بأبعاد اقتباسية تذكرنا بقول الله تعالى عن أم موسى عليه السلام حين وضعته فى الصندوق ، وألقت به ـ

مأمورة - في اليم : "وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كانت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها"[١]،

يقول شاعرنا : "يعوى الفراغ بقلبى الذ ذاوى رهيبا جائعاً"

حيث يصور الحرمان يبدو وحشاً رهيباً قد سكن القلب المحروم. وهذا التصوير السيريالى يبرز"إحساس الإنسان بالدهشة من الوجود المحيط به،والانبهار بما يجرى حوله انبهاراً مشوباً بالقلق والحيرة"[٢].

إننا نستطيع بيسر أن نجد ألوانا من الصور التى تجسد المشاعر وتستنطق عناصر الطبيعة فى خيال خّلاق مثير مثل الاستعارة فـــى قوله:

"أبداً يحوم .. خاطرى" ، وهى تدل على مدى الجدية فى البحث، وكذلك التجسيد البديع فى قوله: "أرهف الحرمان حبى" ، والتشخيص المستغرق فى عالم الأحلام فى قوله : "إنى أحبك يا صغيرى خاطراً" والتجسيد فى قوله : أعيش منك على ربا الأحلام يوحى بمدى السقوط حين تضيع الأحلام بعد أن بلغت قمتها.

إلى جانب التصوير الاستعارى نجد بعض الصور الكنائية التى تدل على التخبط فى السير وضياع الأمل فى مثل قوله : "أتلمس الدفء.." وقوله: "الأمل الشهيد."

---

(١) سورة القصص آية رقم ١٠.

(٢) د/ نعيم عطية: مسرح العبث ، مفهومه ، جذوره ، أعلامه ص ٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢م.

- إن الشاعر.. وهو بسبيل بناء صوره - يمزج بين الصور الجزئية والمركبة والكلية التى يؤدى كل منها دوره فى بناء التجربة ونموها واكتمالها. فما أوجز التصوير فى قوله : "ورأيت فى عينيه أشواقى .." ، وما أشمل مغزاه ، وما أكثف أبعاده!! إنه يقدم لنا صورة نقية بلا شوائب ، تتمثل خلاصة الشعر. وما أروع الصورة الكلية التى يمزج فيها بين الواقع والخيال ، وبين الحقيقة والأحلام مزجاً يبلغ قمة الإشعاع الشعري فى مثل قوله :

"أم يا ترى أنى أناغم فيك وهماً" ، "وأعيش منك على ربا الأحلام" ، "يعوى الفراغ..؟" و"أنا هنا قبس يغالب .." بل إن هذه الصورة يمكن أن تمتد من البيت رقم (٣٣) إلى (٤٤).

والصورة المركبة فى قوله : أنا سوف أحيا.. " ، "تتراكص الآهات.."، "لكننى سأعيش حالمة"، "بصغيرى المنشود" ، " أو أقضى معفرة الجبين". "ولعلك تدرك من وراء ذلك مدى إحاطة الشاعر بأبعاد تجربته.

المبحث الثالث : عـن الموسيقى

أولاً : الموسيقى فى قصيدة الدكتور "العزب"

لقد بنى الشاعر الدكتور" العزب" قصيدته على تفعلية بحر "الكامل"؛ وبحر الكامل ـ كما يقول أبو العلاء المعرى ـ من البحور العروضية التى كثر دورنها فى الشعر العربى(١). والدكتور " العزب" ، وإن كان قد بنى قصيدته على المجزوء من الكامل فإنه ـ إضافة إلى طول التفعيلات فى هذا البحر ـ فقد استخدمه مرفلاً ، ومزيلاً(٢). حيث تصير التفعيلة مع الأول منهما: متفاعلان ، وتصير مع الثانى : متفاعلاتن.

وقد أتاح هذا التطويل ـ إضافة إلى تفعيلات هذا البحر التى أكثر فيها من استخدام حروف المد ـ مساحة للسرد والبوح ، والتنفيس عن قدر كبير من تلك الأحاسيس الآسية المكتومة التى تزاحمت فى النفس المكلومة.

وقد فطن النقاد فى القديم والحديث إلى تلك الخاصة الموسيقية، والتى تحتاج إلى ذوق خاص وإحساس مرهف(٣)، على أنه ينبغى أن نشير إلى أن مثل هذه الأمور لا تقتصر على مثل هذه الأحوال دون سواها، إذ إن تفعيلة "الكامل"تصلح للتجربة التى بين ايدينا وغيرها مما يتصل بها أو يقترب منها، أو

---

(١) محمود مصطفى : أهدى سبيل إلى علمى الخليل ص ٥٢ ، مكتبة ومطبعة صبيح ط/ سادسة سنة ١٩٦٦م.
والتذييل : زيادة حرف ساكن على ما آخره وتد مجموع ـ راجع : العروض القديـــم ، أوزان الشعر العربى وقوافيه للدكتـــور محمود على السمان: ص ٤٥ ، دار المعارف١٩٨٤م

(٢) الترفيل : زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع.

(٣) د/ محمد سعد فشوان : النصوص الحديثة ص ٢٤ ، مكتبة الجامعة بدمنهور سنة ١٩٨٨م.

يغايرها ويتناقض معها، كما أن استخدام المدات الطويلة يصلح كذلك للأحوال الشعورية المختلفة ؛ وإذا كان شاعرنا يعد أحد كبار النقاد فإنه لا يخفى عليه مثل هذه الأسرار ، إذ إن موسيقية البناء الداخلى تشير إلى صدق عاطفته وتمكنه من أدواته الفنية وإخلاصه لفنه على نحو مثير.

وكما استخدم الدكتور " العرب " الصور المجزوءة من " الكامل " فقد استخدم أكثر من قافية ، حيث لم يلزم قافية واحدة ، فقد جاء لكل أربعة أبيات بقافية ، وكأنه يهيئ نفسه من خلال هذه النقلات إلى أن ينتقل إلى شكل فنى جديد ، حيث انتقل إلى الشعر الحر في بعض قصائد ديوانه الأول، ثم تحول فى ديوانه الثاني ، وما تلاه من دواوين تحولا كاملا إلى الشعر الحر الذى بلغ فيه من تحرره في آخر دواوينه الشعرية "تنويعات غـنا درامية "درجة تقوم بهندسة شعرية على غرار الهندسة الوراثية ، إذ تقوم بتخليق نوع ثالث يدمج بين ما هو غنائى.. وبين ما هو درامى""(١)، وتعد "هذه التجربة للعزب مزاوجة فنية توسع من آفاق تجربة القصيدة المعاصرة ، وتخرج بها من أزمتها ، وتفتح لها دروباً من التجارب الشعرية التى تجعل من النبض الشعرى تعبيراً عن موقف فكرى للشاعر بقدر ما هو تعبير عن "المحيط الموضوعى" حولـه""(٢).

---

(١) د. يوسف حسن نوفل : النص الكلى ، ص ١٢٣ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية ٢٠٠٤م.

(٢) د. يوسف نوفل : النص الكلى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة كتابات نقدية سنة ٢٠٠٤م.

ثانياً : الموسيقى فى قصيدة الدكتور (السمان)

نظم الشاعر الدكتور السمان قصيدته على تفعلية بحر "الرمل" "فاعلاتن" فى صورته المجزوءة (مكررة أربع مرات فى كل بيت) بقافية رائية قد التزمها من أول القصيدة إلى آخرها ، ورغم ذلك فقد جاء رنين موسيقيتها مناسباً لطنين(١) ورنين حياة الطفولة ، كما أن تفعيلة بحر الرمل المتألفة من سببين خفيفين بينهما وتـد مجموع ـ تجمع هذه التفعيلة بين الموسيقى الراقصة متمثلة فى سببيها الخفيفين بحركة كل منهما التى يعقبها سكون ، وبين اتزان الإيقاع المتمثل فى وتدها المجموع المتوسط بين سببيها حتى يتمكن الشاعر من أن يسكب عصارة تجربته الحانية فى صورة متوائمة متآلفة.

على أن بالقصيدة نوعاً آخر من الموسيقى الداخلية ، وهى تلك الموسيقى الناشئة عن اختيار الشاعر ألفاظاً معينة وتأليفه بينها تأليفاً حسناً، مثل : "صحراء روحى" ، " تهفو وتخطر"، "الشهد المكرر " ، "تعلونا وتغمر"... الخ.

وقـد عاون على ذلك ما نجده من ألوان من البديع عفوية ، واهتمام بالتقفيـة الداخلية مثل الازدواج فى البيت الأول ، وحسن التقسيم الذى يؤثره الشاعر فى كثير من أبيات القصيدة ـ وقد تلاءمت الإيقاعات الموسيقية مع البناء الأسلوبى المعبر فى يسر وسلاسة وعفوية عن المعانى والأفكار والعواطف فى بناء عام منسجم.

وهكـذا تبدو القصيدة أنشودة رائعة بحق ، وأغنية جميلة للطفـل مـن أب شاعر يملك ناصية الشعر تذوقاً ونقداً وقرضاً يصدر عن موهبة مبدعة.

---

(١) فى المعجم الوسيط (الطنين) ضرب من الأصوات كصوت الناقوس والعود. ويقال : قصيدة أو خطبة ، أو مقالة لها طنين : صدى وذكر وجلجلة فى المحافل وغيرها.

المبحث الرابع : عن العاطفة والتجربة الشعرية

أولا: عن قصيدة الدكتور العزب

عاطفة الشاعر صادقة ذات أسى نبيل ، وشعوره عميق وجليل ، لانكاد نعرف شاعراً عالج مثل هذه التجربة بهذا العمق الذى لا نلمح فيه تملُّقاً ، حيث زاد من أساها فوز الطبيعة فى جل ألوانها وعناصرها بما افتقد فى تجربته لدى العاقر المحرومة الحيرى المتلهفة الممزقة.

وتستطيع أن ترى هذه الصورة المستغرقة فى أتون أزمتها من خلال الأبيات (٩ ـ ١٢) حيث تراها مرتعشة العينين ، صائخة السمع ، ملتاعة القلب، والغيوم تولول فى صورة صارخة ، فلا تملك إلا أن تصم سمعها ، وتضيع فى حلك الهموم.

وقد جاءت تجربة شاعرنا التى سبق أن أشرنا إلى أنها تجربة ذكية تعالج معاناة اجتماعية ، غير أنه استطاع أن يتخطى بها حدود الجنس والوطن لتعبر كل الحواجز ، وتعبّر عن آلام الإنسان ، وتعالج نوازعه أينما كان، وفى أى زمان من خلال رؤية واقعية ، إذ إن الأدب "نشاط اجتماعي إنساني ينبع من الفرد بوصفه كائنا اجتماعيا يمارس الحياة الاجتماعية ، وينفعل بأحداثها ويتأثر وجدانه بحقائقها الموضوعية ، ويؤثر بدوره فيها على قدر وعيه لقوانين تطورها ، وعلى قدر فهمه لضروراتها الاجتماعية"[1].

إن تاريخ القصيدة يدل على أنها جاءت فى الطور الأول من حياة شاعرنا الدكتور "العزب" ، وقد أثر عنه فى هذا الطور تجاوبه مع البسطاء من أبناء الشعب ، وتزايد اهتمامه بآلامهم ، وخاصة أنه إقليمي يعرف ـ عن قرب ـ مثل

---

(١) حسين مروة : دراسات فى ضوء المنهج الواقعى ص ٩٣.

هذه النماذج من المجتمع ، فكان شعره الاجتماعى علامة مميزة لهذا الطور من حياته الشعرية الزاخرة.

وقد تبين لنا كيف كان الشاعر ملماً بأبعاد تجربته ؟ الأمر الذى مكّنه من التعبير عنها بصدق من خلال بناء تنسجم فيه الأفكار مع المعانى والأخيلة ، فى صياغة دقيقة قادرة على تريب العناصر والمؤاخاة بين الأجزاء ، حتى بدت القصيدة خلقاً فنياً ذا تجربة متسقة مع وحدتها الموضوعية ومعبرة بصدق عن فكر صاحبها ووجدانه ، ومتنبئة بميلاد شاعر ذي موهبة شعرية فـذة.

ثانياً: العاطفة والتجربة فى قصيدة الدكتور (السمان)

تعلـم شاعرنا الدكتور "السمان" فى الأزهر الشريف ، وحفظ القرآن الكريم ، فنهل من علومه ولغته وتوثقت صلته بتاريخنا وميراثنا الإسلامى السمح البناء ، ثم تزوج وأنجب ، وعمل بالتدريس فى الجامعات ، وتدرج فى المناصب حتى صار عميداً لكلية اللغة العربية ، وهو فى هذا كله كان أباً رحيماً لطلابه ، ومثالاً يحتذى فى حسن رعايته واهتمامه بالشباب ، بل بالرجال والأساتذة ، فقد كان رئيساً لنادى هيئة التدريس ، فلا غرو أن تفيض عاطفته رقـة وتحناناً على الأطفال الذين هم أولى بالرعاية والاهتمام ، وقد بدت عاطفته جياشة صادقة ، قريرة النفس بما تتمتع به حيال هذه النعمة التى يخشى أن يشوبها ما يسوءها على أن النفس منتشية ، والمشاعر فياضة.

وإذا كان للشعور مظاهر ثلاثة: الفكر، والوجدان ، والإرادة[1]، فقد تمتع شاعرنا بذلك كله دون افتعال ، كما أن تجربته الشعرية تبدو كذلك نابضة واضحة قد أحاط بأبعادها ، واكتملت لديه عناصرها ، حيث يتعانق فيها الفكر والوجدان والخيال ، كما تتلاحم الأفكار والمعانى فى تعبير أمين، وأسلوب مناسب ، وتصوير صادق ينأى عن التكلف ، ويصدر عن طبع سليم ، وعفويـة آســرة أثيرة.

---

(١) د. مصطفى هدارة : فى النقد الحديث ص ٨٦.

الفصل الرابع

القصيدتان فى ميزان النقد الأدبي

المبحث الأول : فى قصيدة الشاعر الدكتور (العزب)

أود ـ قبل أن أُبدى رأيى النقدى فى بعض المسائل ـ أن أؤكد أن ما لحق هذه القصيدة من دراسة تحليلية وفنية قد اشتملت على كثير من المواقف النقدية التى تبرز قيمة النص الأدبى وجماله والأثر الذى ينشئه لدى المتلقى فى فكره ووجدانه ، فليس النقد كله ذكراً للهنات وإغضاء عن الحسنات،كما أنه ليس كله ذكراً للحسنات وإغضاء عما يلحق بالعمل من هنات،فالكمال لله وحده.

ونحن بسبيل تأكيد هذه الفكرة لا نود أن يكون مؤدى هذه الفكرة هو تمييع الفنون الأدبية أو حتى إدماجها فى بعضها البعض الآخر، ولكننا نريد لها الخير والتواصل والتكامل الذى يحقق الأثر المنشود، على أن يظل كل فن محتفظاً بخصوصياته وعناصره الأساسية التى تنهض مع غيرها من خلال أرض مشتركة.

إن معاشرة النصوص الأدبية وتذوُّقها وتفُّهمها ، والغوص وراء أسرار الجمال فيها ، ومراعاة الظروف والملابسات واختلاف الموضوعات ، وإدراك القواعد اللغوية والبلاغية ، كل أولئك هو الطريق إلى بعث النقد الأدبي والدراسة النقدية[1] .

لقد تعرفنا من خلال هذه الدراسة إلى بعض الملامح النقدية التى كان لها صدى معين وأثر ما فى تجربة الشاعر التى تشير إلى إطلاع الشاعر على عديد من المدارس والمذاهب الشعرية والأدبية والنقدية الحديثة ذات التوجهات التجديدية،

---

(١) د.عبد العزيز الدسوقى : تطور النقد العربي الحديث فى مصر ص ٦١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.

على نحو ما لمسناه من ملامح رمزية وأخرى واقعية ، أو غير ذلك من رومانسية أو سيريالية.

وأود كذلك أن أذكر موقفاً نقدياً طريفاً حدث لأحد رواد الكتابة للأطفال ، إنه "أحمد نجيب" حيث تعرض لنقد من طفل فى الثامنة من عمره عندما قرأ قصة "رحلة إلى القمر" فى أوائل الخمسينيات.. ولم يكن الإنسان قد وصل إلى القمر بعد.. وقد وصل المؤلف بالأطفال فى هذه القصة إلى القمر بطريقة خيالية طريفة... واعتبر أن وصولهم إلى القمرهو نهاية القصة فى حين كان الطفل يتوقع أن هذا سيكون بداية القصة(١).

يقول المؤلف(٢): " هذا أحسن نقد سمعته فى حياتى... وهنا أضاف المؤلف نحو ثلث القصة بأحداث(٣)وقعت على سطح القمر".

ولذا ، فقد وددت لو أن الشاعر الدكتور العزب لم يتوقف بدفقات تجربته الشعورية عند الحد الذى انتهى إليه فى ختام القصيدة ، إذ يعلن قضاء العاقر قضاء أسيفاً حيال عدم تحقق حلمها فى أن توهب طفلاً يمنحها صفة الأمومة ، فذلك مردّه إلى مشيئة الوهاب الذى (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور. أو يزوجهم ذكرانا وإناثا. ويجعل من يشاء عقيما)(٤).

---

(١) تجربتى فى الكتابة للأطفال : إعداد عبد التواب يوسف ومحمود قاسم ، ج١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م .

(٢) تجربتى فى الكتابة للأطفال : إعداد عبد التواب يوسف ومحمود قاسم ، ج١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧م.

(٣) هكذا فى النص المنقول الذى يتضح أن تركيبه الأسلوبى غير مستقيم.

(٤) سورة الشورى : آية ٤٩ ، ٥٠.

وما دام الأمر مرده إلى الله أولاً وآخراً ، فكم كنت أود ـ ولاسيما مع تعليم الشاعر فى رحاب الأزهر الشريف ، وهو أحد أعلامه المعدودين ـ ألا يقف بالتجربة عند حد تلك النهاية ، حيث يمكن له أن يفتح للعاقر سبلاً أخرى عديدة فى الإسلام تمنحها صفات من الأمومة العظيمة والحياة الخالدة ، كأن تكفل أيتاماً تجعل من نفسها أمًا لهم فى الدنيا ، وجارة للنبى (ص) فى الآخرة ، أو أن تكون خالة بمنزلة الأم ، أو أن تكون أماً لأبناء كثيرين بتعليمهم وتربيتهم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد جاءت قصيدة الدكتور "العزب" ذات موضوع واحد على غير عادة الأقدمين فى تعدد موضوعات وأغراض القصيدة ، وابتدائها بالغزل حيث استطاع شاعرنا أن يدخل بنا إلى رحاب موضوعه بلا مقدمات، إذ يستهل قصيدته بصورة مركبة يدلف بنا إلى جوها المظلم من أو جملة ليشعرنا بجو المعاناة، فالطريق بعيدة ، والعاقر حيرى ، تسير فى تخبط تتلمس الظفر بمولود يبدد ظلام أيامها. وهذا الجو يثيرنا ويدفعنا إلى أن نتعاطف معها.

ـ فى البيت الثالث عشر يتحدث الشاعر عن خاطره الذى يحوم حول المهود البيض ، وتمتد الصورة إلى البيت السادس عشر حيث يقول :

ويعود مختنق اللهـا ة بدمعـه المتناثـر

والنظرة العجلى قد تدفع البعض إلى القول : بأن الدموع لا تخنق اللهاة حيث تتساقط من العين لا من اللهاة ، وإنما تختنق اللهاة بالزفرات الحارة التى يغص بها الحلق، على أن الحلق لا يغص إلا حين يشتد الألم ، ويجهش بالبكاء ، فهناك رابطة على كل حال.

ـ كذلك فى البيت الثالث والعشرين حيث يقول شاعرنا:

ويداى باحثتنان فى ليل الشرود على يديه

نجده قـد قصر البحث ـ رغم اللهفة وشدة الحاجة ـ على اليدين ، والبحث يكون بأشياء كثيرة يعملها ذو الحاجة ، غير أن الشاعر ـ لصدق عاطفته ـ يهتم بما يبرز بدقة ملامح تجربته ، إذ إن بحث اليدين فى ليل الشرود أظهر فى الدلالة على الفراغ والافتقاد وعدم تحصيل شىء، كما قد يقول البعض : إن البحث لا يكون على.. ، وإنما يكون البحث عن.. ، أو فى ـ ورغم جواز استخدام "على" بمعنى "عن" إلا أن تمام الصورة وانسجامها مع التجربة يجزم بأن الشاعر فى هذه التجربة لم يكن ليشبع حاجته، أو يقنع عاطفته مجرد البحث عن يدى الطفل الذى يرجو أن يُمنحه ، وإنما يشبعه الحصول على الطفل ، والإحساس بتملكه واحتوائه بمشاعره وأعضائه وتحليقـه بذراعيه ووضع اليدين على يديـه فى تحنان وملاعبة كما تصنع الأمهات والآباء مع صغارهم.

واليدان هما أظهر عناصر التملك ، ولذا كان الشاعر موفقاً.

المبحث الثاني: فى قصيدة الدكتـور (السمان)

عنوان القصيدة ينبئ عن ذوق راقٍ ، وطرافة أخاذة، حيث جعلها الشاعر بمثابة بطاقة تهنئة (كارت معايدة) ، وإنما يكون ذلك فى مظاهر جميلة تحمل أجمل العبارات. وقد أعلن الشاعر أن مضمونها التهنئة، وأنها فى يوم عيده ، ولا تكون التهنئة إلا على شئ قيم ، ولا يكون اليوم عيداً إلا إذا كان مظهره ينبئ عن جوهره.

ـ وقـد يقول قائل : ليس فى الإسلام سوى عيدين : عيد الفطر ، وعيد الأضحى. على أنه قد أثر : أن كل يوم لا يعصى فيه الله عز وجل يعد يوم عيد ، فليس الغرض أن نجعل للطفل يوماً واحداً نحتفى فيه ، بل إن ذلك يعد رمزاً يذكرنا تعاليم ديننا الذى يحثنا على أن نرعى الطفل ونحتفى به كل يوم.

وإذا كانت الأعياد تأخذ مظاهر الزينة والبهجة ، والأولاد هم زينة الحياة الدنيا ، فإنهم يزينون أيامنا كلها، ويجعلونها أعياداً.

وقولـه : بطاقة تهنئة للطفل لا يقصد به المذكر فقط، بل المؤنث أيضاً، فقد يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع، ففى التنزيل العزيز : (ثم يخرجكم طفلاً)[1]، وقوله عز من قائل[2]:) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء(. والطفولة: المرحلة من الميلاد إلى البلوغ.

ـ فى البيت العاشر تصوير لطيف يوحى بأن جمال الطفولة جمال لا تكلف فيه ، إذا إن نومـه مبعث للفتنة دون افتعال أو تنميق. وقد يبدو للبعض أن استخدام المضارع من الإغفاء أو النعاس أدعى للفتنة والسحر والوداعة من

---

(١) سورة غافر آية : ٦٧.

(٢) سورة النور آية : ٣١.

المضارع "ترقد" ، فهو أدعى إلى الكسل والخمول ، على حد قول " البوصيرى " فى همزيته :

سيد ضحكه التبسيم والمشـ ى الهوينى ونومه الإغفاء[1].

على أن الوزن قد لا يستقيم مع "تغفو" ، فيستعمل "تنعس" ، وكلاهما يدل على النوم الخفيف ، والثانى منهما كثير الاستعمال على ألسن العامة ، لذا يظل تعبير شاعرنا موضوعياً، ولا سيما إذا كان الرقاد يدل على مطلق النوم ليظل نوم الطفل مبعثاً للفتنة على أى حال.

ـ فى البيت السادس عشر تحدث الشاعر عن استواء خلق الطفل وحسن تصويره ، وهو كذلك يتحدث عن المعنى نفسه فى البيت الثامن عشر ، غير أنه جاء فيه بتصوير عفوى رائع حين شخص جماله الناطق إعظاماً وإجلالاً للخالق البارئ المصور قائلاً : (الله أكبر) ، فى حين يحثنا شاعرنا فى البيت السابع عشر على التأمل والتفكر فى عظمة الخالق وبديع تصويره إذا شاهدنا طفلاً، ولعل هذا البيت لو تأخر عن تاليه لكان أنسب لتسلسل الفكرة ، وأدعى لانسجام تركيب الصورة.

ـ وفى البيت التاسع عشر يقول الشاعر : " لقنوه العلم سهلاً..." وقد يظن البعض أن التعليم عن طريق التلقين لم يعد مناسباً لطرق التعليم الحديثة على أساس أن التلقين طريقة تعتمد على محض الإلقاء الذى يعمل على حشو ذهن الطفل دون أن يمنحه فرصة التعبير عن فهمه وفكره ، والاعتماد على النفس. وهذا المفهوم يكاد يشيع على ألسن كثير ممن يناط بهم الارتقاء بطرق التدريس والتعليم،

---

(١) ديوان البوصيرى راجع مدحة الهمزية.

على أن الإنصاف يقتضى تصحيح هذا المفهوم ، إذ إن مادة (لقن) تدل على استخدام العقل والذكاء فى الفهم ، ومنحه فرصة ليعيد ما فهم ، ويعبر عنه..

هذا واستخدام العقل والذكاء لا يأبى الإفادة من الوسائل والآلات العلمية المخترعة فى النهوض بحركة التعليم شكلاً ومضموناً.

ثانيا : الصورة الشعرية عند الدكتور السمان

لعل أول ما يلفت المتلقى حيال الصورة الشعرية فى هذه القصيدة هو بساطتها وغلبة الصور الجزئية ، ولعل الشاعر بهذا يكون منسجماً مع نفسه وطبيعة التجربة فى بساطتها وجزئية مرحلة الطفولة من مجموع مراحل حياة الإنسان، على أن الشاعر ـ لقدرته التصويرية ـ قد استطاع أن يمنحنا منذ أول صورة أبعاداً مكثفه وامتداداً واقتداراً على رؤية الكون كله وجماله بإطلالة واحدة فى وجه الطفل، حيث ينصرف الضمير فى قوله : "وجمال الكون فيه يتصور" إلى وجهه دون أى جزء آخر.

ـ وهو فى تصويره لا يجسد المعنوى فى صورة المادى[1] فقط ، بل يمنحه من خياله ما يجعـــله مادياً إلا أنه غير عادى ، كما فى قولـه : "ليس ينمو بسوى الحب" ، حيث يصور الحب غذاء فريداً لا مثيل له فى تغذية وتنمية الطفل ، وفى هذا تقدير لقيمة الحب ودوره فى تنشئة الطفل قبل أن يدرك معناه.

ـ وفى ثنايا صوره التى قد تبدو وتقليدية على نحو ما نجد من شيوع صور التشبيه البيانية الجزئية نراه يمنحنا صوراً أخرى قد تبدو مفاجئة لما فيها من جدة وطرافة آخاذة تدل على حذاقة فنية مذهلة على نحو ما نجد فى قوله :" أنت فى

---

(١) ومثل ذلك قوله : (البهجة فى قولك تقطر) ، ففيه تجسيد للبهجة بقطرات فى المطر.

صحراء روخى نسمة" ، حيث جاءت صورة التشبيه البليغ الذى يصور الطفل بالنسمة ، وهو ما يدل على ما يمنحه الطفل فى حياتنا من حركة وحيوية وعبق،غير أن هذه الصورة قد اشتملت على صورة أخرى طريفة تصور الروح التى هى سر حياة الإنسان بأنها تكون بمثابة صحراء قاحلة مجدبة إذا خلت من نسمات الطفولة.

والصورة التشبيهية الجارية على ألسن العامة التى أبدعها فى إيجاز بديع قد تبدو للبغض قائمة على مبالغة كبيرة على نحو ما يصور الطفل بأنه النور الذى يبصر به مغضيا عن نعمة البصر الحقيقى من خلال العين الباصره كما فى قوله :

وإذا ما غام أفق كنت نوراً فيه أبصر

إلا أنه لم يكن بذلك بمنأى عن روح الأبوة ، إذ لا يفتأ الآباء يرددون ذلك لما يمثله الأبناء فى حياتهم.

ومثال التشبيه الجاري على ألسن العامة قوله : "كالشهد المكرر"(١) غير أن هذا التشبيه وإن تناولته ألسنة العامة فإنه كذلك لم تتحرج السنة الخاصة من ترداده ، فلا تبذل فيه. كما أن بناءه قد قام على ألفاظ منتقاة رائقة رشيقة عذبة ذات قدر من الموسيقية التى تمتع الأذن والروح ، حيث وظفه الشاعر توظيفاً فنياً رائعاً ، فقد جاء التشبيه عفوياً يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام والإيقاع الطفولى.

والصور التشبيهية التقليدية المباشرة التى رأيناها سابقاً ، على ما فيها من بلاغة وإيجاز وإبداع ونقاء ، فقد تأتى هذه التشبيهات فى صورة ضمنية لطيفة المأخذ، تحتاج إلى إعمال الذهن ورفع حساسية الذوق من أجل تذوق وإدراك

---

(١) ومثل ذلك قوله : أنت كالزهر رقيق أنت كالتفاح سكر
فهى صور بسيطة تلائم بساطة هذه المرحلة والألفاظ عذبة حلوة رقيقة رشيقة.

المغزى البيانى كما فى التشبيه الضمنى الذى جاء فى قولــه : "أنت إن تصــح فشمس الد دفء تعلونا وتغمر"

حـيث شبه طلعة الطفل بعد يقظته من نومه ـ وما يبعثه فى النفوس من بهجة وسـرور ودفء بطلعة الشمس ـ حين تشرق وترتفع ـ وماتمنحه الناس من دفء وإشراق.

ويستمر الشاعر فى إمدادنا بالصور التشبيهية التى تكشف عن قريحة فذة ، وقدرة عجيبة فى رسم وابتكار صور جديدة طريفة مثيرة ممتعة ومقنعة ، على نحو ما نجد فى هذه الصورة البيانية التشبيهية المتناقضة الطرفين: "المشبه والمشبه به" ، والمتسقة فى التعبير على تقدير تصوير الخالق للإنسان فى أى لون يشاء ، حيث يقول الشاعر :

كل لون فيك يغرى أسود اللون كأشقر

إن أجمل ما يميز هذه الصور التقليدية هو مكنة الشاعِر فى رسم صوره فى دقة ويسر وتلقائية وعفوية آسرة ، على نحو ما نجد فى هذه الصورة الاستعارية المثيرة فى قوله:

كل ما فيه جمــيل ناطق : الله أكــبر

حيث لم يجعل للطفل لسانا واحداً ، وإنما منح الشاعر أعضاء الطفل ألسنة كثيرة تنطق كلها اعترافاً وتقديراً لعظمة الخالق ، وأنه أكبر من كل شىء سواه ، وهو ما يمنح الصورة جلالة وقداسة مع مجيئها فى عفوية آسرة.

وإذا كنا قد رأينا الشاعر فى الصورة السابقة يحاول أن يستثمر عناصر الطبيعة فى أن يخلع منها على الطفل ما يناسبه ـ فإننا نجده هذه المرة يجنح إلى

الأرض أم الطبيعة ، حيث يصور الطفل بالأرض النقية المهيأة للزرع والغرس إذا أحسن رعايتها غدت جنة غناء ، على نحو ما يتمثل فى قولـه :

" اغرسوا الرحمة فيه.." و قوله : "و ازرعوا العفة فيه.." .

والجميل فى هذه الصور أنها لم تعد تقتصر على تصوير الطفل الجميل بعناصر الطبيعة الجميلة ، ولكن تصور الطفل بأنه صانع جمال الطبيعة، وعامل إعمارها فى يوم ما إذا ما تعهدناه بالرعاية ، إذ أن ذلك يحتاج إلى جهد ومشقة، حيث إن الغرس والزرع لابد لهما من أمور كثيرة لكى ينبت الزرع وينمو الغرس ويزهر ويثمر.

وهو لايستعين فى رسم صوره كذلك بعناصر الطبيعة فقط ، أو أم الطبيعة وهى الأرض ، وإنما يتوجه إلى التاريخ على امتداد قرون منه يسأله فى صورة تشخيصية عن طريق الاستعارة المكنية ، حيث يقف التاريخ شاهداً أميناً ، ومفاخراً جديراً بدور أعلام الإسلام أمثال سيدنا أبى بكر الصديق وعمر الفاروق (رضى الله عنهما) ، وهو يمتد بالصورة إلى بيان دور الرسول (ص) فى ذلك ، حيث قدم للناس المثل الباهر الخالد فى ذلك، إذ يجعل من نفسه للأطفال مطية وهو بين يدى ربه فى صلاته.

وتشتمل هذه الصورة الممتدة حتى نهاية القصيدة على صورة أخرى تصور حنان الرسول (ص) وصحبه الأخيار حيال الأطفال بالنهر المتدفق ، وهى صورة ترمز إلى الحياة الكريمة والرحمة الخالدة ، كل هذه صوره فى مزج رهيف يجمع فيه بين السرد والإيجاز ، وبين الدقة والعمق فى لوحة فيها من الثراء والكثافة وحسن الختام ، حيث تم ذلك بصبر جميل.

ثانياً : عن اللغة والأفكار فى قصيدة الدكتور السمان

ـ إن أوجز ما توصف به لغة الشاعر وأساليبه فى هذه القصيدة هو السهولة الممتنعة ، حيث تعد نموذجاً يدرس ، ومثالاً حياً للغتنا العربية الشاعرة الساحرة الثرية ذات الطاقات القادرة على التعبير عن كل التجارب فى يسر وسلاسة ووفاء بالمراد مع التأثير فى المتلقين فى بساطة لا تحيد عن مقاييس اللغة، ولا تستبيح حرمتها.

وشاعرنا خبير فى اللغة يعرف من أسرارها ما يجعله جديراً بأن يوصف أسلوبه بالسهل الممتنع حيث يبدو مثل الطبيب الحكيم الذى يعرف من أسرار الطب ما يعينه على دقة تشخيص الداء فيصف له أنجع دواء دون تهويم أولف ودوران.

والسهولة التى يؤثرها الدكتور "السمان" فى لغة الشعر "لاتعد عيباً، ولا تحسب شراً ، فقد يكون استعمالها أصدق تعبيراً من الجزالة مادامت تعبر عن التجربة بصدق، وتصور الانفعال بها فى دقة تعمل على خلق الأثر الشعرى المنشود. إننا نريد من الشعراء فى استخدامهم للغة السهلة أن يصلوا بينها وبين لغة التراث ، لا أن يهبطوا بها"[1].

ـ كما أن أفكاره توصف بالوضوح والجلاء والموضوعية ؛ فلا غموض ولا التواء. والقصيدة ذات فكرة واحدة إلا أنها متكاملة ، إذ إنها ذات شقين متدامجين عن حياة الطفل فى شكلها وجمالها ومضمونها وتقويمها،ثم هو يعرضها فى

---

(١) محمد إبراهيم أبو سنة ، حياته وشعره : رسالة ماجستير ، إعداد د.محمد سلام. مكتبة كلية اللغة العربية بإيتاى البارود.

جزئيات وأفكار فرعية تتلاءم وتتلاحم فى أداء شعرى منطقى استطاع الشاعر من خلاله أن يحفظ للتجربة وحدتها الفنية.

ـ وقد جاءت الألفاظ سهلة مع الوفاء بالمعنى دون تنافٍ أو توعر، منتقاة مع حسن تخير ، دقيقة مع حسن ترتيب ، عليها مسحة من دمائة تعليم الشاعر فى حاب الأزهر الشريف واستقائه من تعاليم ديننا السمح الحنيف ، حيث تسرى العذوبة فى عروقها ، وتغلفها الشفافية التى تنطوى على رقة ورونق فى تلاؤم مبدع بينها وبين الأساليب السهلة مع المنهج المناسب فى التعليم والتنشئة الحقـة.

ـ فمن سهولة الألفاظ أنك تقرأ القصيدة كلها ثم لا تكاد ترى نفسك فى حاجة إلى الرجوع إلى المعجم لإيضاح معنى لفظة ما، اللهم إلا على سبيل التيقن والاستقصاء ، وليس معنى ذلك أنها سهولة متبذلة أو مسفة، ولكنها سهولة مناسبة لطبيعة التجربة ، وتستطيع أن تجد ذلك فى مثل قوله : "الوجه المنضر" ، و"الثغر المعطر" وقوله : "كنت نوراً فيه أبصر" ، وقوله : "كالشهد المكرر" ، وقـوله:

كل فعل منك يحلو كل قول منك يؤثـر

أنت كالزهر رقيق أنت كالتفاح سكـــر

وقوله: " لقنوه العلم سهلاً " ، وقوله : " اجعلو الحمل خفيفاً ".

ـ ومن أمثلة ثقافته الأزهرية وتعاليم الإسلام قوله : "نعمة أنت تناهت"

وقوله: " يا مثالاً جل من سو واك يا طفل وصور "

وقوله: "ناطق الله أكبر" ، وقوله : "اغرسوا الرحمة فيه... "

وقوله: "وازرعوا العفة فيه" ، وقوله: " إذ يصلى ويكبر... "

ـ ومن أمثلة الدقة فى التعبير وحسن الترتيب بين الألفاظ : قوله:

"ليس ينمو بسوى الحب ويكبر" ، فقد قدم النمو على الكبر ، حيث يكون النمو فى مراحل تجاوز الصغر إلى الكبر.

وكذا قوله : "شمس الدفء تعلونا وتغمر" ، حيث إن الغمر بمعنى الشمول لا يكون إلا بعد الارتفاع والعلو.

ومن ذلك قوله: "اغرسوا الرحمة فيه" ، وقوله : " ازرعوا العفة فيه". فقد استعمل الغرس مع الرحمة ، فى حين استعمل الزرع مع العفة ، ولا يخفى أن الغرس يعمر طويلاً خلافا للزرع الذى قد يحصد بعد فترة وجيزة ،

ولذا كان الشاعر موفقاً مصداقا لقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "لا تنزع الرحمة إلا من شقى"(١).

ـ ومع الدقة فى استعمال الألفاظ وحسن الترتيب بينها نراه يكثر من الترادف بين الألفاظ ، وهو ما يعمل على إيضاح المعنى وتمامه ويدل على ثراء لغوى أعان الشاعر على التعبير فى طواعية ودون عناء.

فمن الترادف قوله : "نسمة تهفو وتخطر" ، " ولى الهم من نفسى وأدبر". وقوله : "جل من سواك.. وصور".

ومن طواعية الأداء وعفوية التعبير قوله :

" كل ما فيه جميل ناطق : الله أكبر "

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، وأبو داود والترمذى فى سننهما.

وقوله : " هو ذو ظهر ضعيف فإذا أثقل يكسر " ، حيث إن الثقل الزائد على الصغير الضعيف يؤدى إلى كسره وإضعافه وعدم تحمله ، وهكذا فإن السهولة التى ينشدها الشاعر هى سهولة موضوعية ومنهجية بغرض التدرج فى تعليم الطفل وتنشئته بما يناسب سنه وقدرته على التلقى والتحمل كى يعد إعداداً حقاً، حتى إذا ما صار كبيراً قام بدوره حيال الصغار وإلا فإن فاقد الشىء لا يعطيه واسألوا التاريخ.

وأما عن الأسلوب فقد جاء طازجاً رائقاً مواكباً لطبيعة التجربة ، حيث برع الشاعر فى توظيف طاقات الأساليب اللغوية والبلاغية المتنوعة وحسن المزج فيما بينها كما فى براعة الاستهلال ، وحسن الاختتام ، والجنوح أحياناً إلى المبالغات المقبولة بدرجة لا تكاد تشعرك بما فيها من مبالغة، وهو يستخدم التكرار من أجل توكيد فكرة ما ، كما يشفع ذلك بألوان من التفصيل والتعليل ، وحسن التنغيم الناشىء عن حسن التقسيم ، أو بناء الأسلوب بإسناد الفعل إلى المجهول ، أو حذف المفعول للدلالة على الشمول والتعميم ، ولذا فإنه يوجه الحديث أحيانا إلى الجماعة ليبرز مسئولية المجتمع كله نحو الطفل من أجل إعداده ليكون رجلاً مسئولاً ما بين "خبر" تقريرى أو "إنشاء" متعدد الأغراض مع ألوان من "السرد" و"الاستدعاء".

فمن براعة الاستهلال قوله فى مفتتح القصيدة " عشت... " ، حيث يحتوى البيت الأول على أسلوبين خبريين لفظاً إنشائيين معنى ، إذ يحملان دعاء بطول العمر وامتداد الحياة ، وإنما يولد الطفل رجاء أن يعيش كى يمثل امتداداً طيباً عطر الذكرى لوالديه وأسلافه. وقد جمع الشاعر فى دعائه بين اللوَن "المنضر" ، وبين الروح "المعطر" مضفيًا على ذلك قدراً من التنغيم عن طريق

"حسن التقسيم" بين شطرى البيت ، وهو ما يمنح الأداء جرساً موسيقياً يواكب عهد الطفولة والمرح.

وعلى قلة وجود الأسلوب الإنشائى أمام هيمنة الأسلوب الخبرى فى نصف القصيدة الأول إلا أنك تلمح قدرة تنويعه فى الأداء ، حيث يجمع بين أسلوب النداء وبين الأسلوب المثبت مرة فى البيت الثانى ، ومرة يجمع بين

أسلوب النداء والأسلوب المنفى فى البيت الثالث ، و تكرار النداء للطفل لمزيد اهتمامه واحتفائه به. والتنكير يدل على العموم الذى يقرره الأسلوب

الخبرى بأن جمال الطفل يفيض على الكون كله ، ولذا فهو حبيب لكل الطوائف. تأمل قوله : " يا جميلا وجمـال الكون فيه.." وقوله : " يا حبيباً ليس... ينمو بسوى.."

وما يثبت ويتقرر عن طريق الأسلوب الخبرى يمنحه الشاعر ألوانا من التأكيد كما فى أسلوب القصر عن طريق النفى والاستثناء فى مثل قولـه: "ليس ينمو بسوى الحب .." ، أوعن طرق أسلوب الشرط ذى النتائج الحاسمة ، كما يمنح الكلام دقه وإحكاماً كما فى قوله: " وإذا ما غام أفق كنت نورا"، وقوله:"إن أقبلت ولى الهـم.. " ، أو عن طريق تصدير الأساليب الخبرية بألفاظ العموم والشمول كما فى قوله : " كل لون فيك يغرى" ، وقوله : "كل فعل... كل قول" ، وقوله : "كل ما فيه جميل".

وهو يمنح هذا التعميم دائماً قدراً من التنغيم والامتاع وعفوية الأداء، وقد يكون ذلك فى مبالغة مقبولة عن طريق تأكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله : "لست أفديك بروحى أنت بالدنيا وأكثر"، حيث تستطيع إدراك جمال الانتقال من حال النفى إلى الإيجاب المبالغ فيه ، لا أقول من قبل الشاعر، لكن من قبل كل

الآباء وكل الأمهات حيال أبنائهم ، ولذا فلا غرو أن يقرر الشاعر ما يردده كل الأباء.

والخبر حينما يتعلق بخالق هذا الطفل الجميل فإنه يرتقى فوق التقرير إلى التعظيم ، تعظيم الخالق وتقدير نعمته ، وما يزيد من جلال ذلك حسن اقتباس الشاعر كما فى قوله : "جل من سواك ياطفل وصور" ، وقوله : " نعمة أنت تناهت" ، ولعظمة هذه النعمة فقد أردف الشاعر ذلك ببناء الفعل للمجهول كما فى قوله : " وهناء ليس يُنكر" ليدل على أن هذه النعمة العظيمة الجليلة لا ينكر عظمتها أحـد.

وهو أحيانا يجمل عظمة هذه النعمة ، ثم يقوم بعد ذلك بتفصيلها وإذا كانت البلاغة الإيجاز فإنه يبدع كذلك فى التفصيل الطريف على نحو ما نجد فى قوله : " كل لون فيك يفرى ، ثم يفصل ذلك بحذاقة فائقة حيث يقول: "أسود اللون كأشقر".

و إذا كان الشاعر قد جلَّل الجزء الاول من القصيدة المتعلق بشكل الطفل و جماله بأسلوب خبرى جامع فى قوله : "كل ما فيه جميل .." ـ فإن اهتمامه بمظهر الطفل لم يكن مقصوراً على مجرد الشكل وجماله ، حيث دعانا دعوة كريمة إلى التأمل فى نعمة الله ، والتفكر فيها لمجرد مشاهدتها ، وذلك قبل أن ينتقل إلى معالجة عملية تنشئة الطفل وتعليمه وإعداده فى النصف الثانى من القصيدة . يقول الشاعر قبيل أن تنتصف القصيدة :

يامثالاً جل من سو واك ياطفل وصور

فإذا شاهدت طفـلا فتأمل وتفكـــر

وهو يكثر من أساليب الأمر الإنشائى فى النصف الثانى من القصيدة للنصح والإرشاد وهو أمر ، ويدل على رغبة حثيثة نحو تنشئة الطفل تنشئة سوية، كما فى قوله: " لقنوه العلم سهلاً" ، وقوله :

"اكتبوا المنهج أخصر" ، وقوله : اجعلوا الحمل خفيفاً".

وقولـه: "اغرسوا الرحمة ، وازرعوا العفة ، واخلقوا العزة فيه". وهو لا يكتفى بالأمر، وإنما يأتى بالتعليل والتفصيل والنتائج كما فى قوله : "فهو مثل الزرع أخض" ، وكم كان الشاعر بارعاً فى استخدام الرمز اللونى

الدال على رقة هذا الكيان الذى يجب أن يعامل برقة مناسبة كذلك ، وكذا تأمل النتيجة التى جاءت فى طواعية منطقية حيث يقـول :

"فإذا أثقل يكسر".

وهو يجمع بين حسن التعليل ، وبين حسن التقسيم فى الأبيات (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) كما يردف ذلك بالمضارع المتجدد المسند إلى لفظ العموم كل أو الموصول الجمعى ، وهو ما يدل على مدى اهتمام الشاعر بالعام دون أن يقتصر ذلك على أمر شخصى كما فى قوله : "ليواسى من تكدر"، وقوله : " ليعادى كل منكر" ، وقوله : "ليجافى مايحقر".

وما فصله فى أساليب الأمر السابقة فقد أجمله فى أمر جامع فى قوله :

"وأعدوه لحق" ، غير أن الأمر هذه المره لم يكن من أجل عمل إيجابى كما كان فى السابق ، وإنما ليتخلى عن كل بغى وشر وقهر.

كما فى قوله : " لا لكى يطغى ويقهر ".

ـ ومع الرغبة الفكرية الحثيثة يستعين الشاعر بألوان من الاستدعاءات للشخصيات الإسلامية العظيمة من أجل استحضار تأثيرها والاستمداد من عطائها كما لو كانت موجودة فى حياتنا، وهو يعضد ذلك بوسائل تأكيدية وبلاغية متنوعة كما فى قوله : "اجعلوا الصديق يبدو فيه الفاروق" ، وقوله:

"ولقد كان رسول... يبهر" واستخدام المضارع المتعدى دون ذكر معموله يدل على عموم الأثر دون تحديد.

ـ وفوق كل ما ذكر يستعين بأسلوب السرد القصصى ، غير أنه قد برع فى توظيف الفن القصصى الذى يجذب المتلقى ويستهويه، على أن ذلك جاء دالاً على حذاقة أديب يعرف من أسرار فنون النثر ما لا يقل عن معرفته بأسرار فنون الشعر ، حيث عبر عن ذلك فى مزج رهيف من خلال أسلوب يجمع بين السرد والإيجاز.

الخاتمـــة

الحمد لله فى الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد بن عبد اللاه ، وآله ومن والاه.

وبعـــد

فقد شفت هذه الدراسة ـ بفضل الله ومنته ـ عن عدد من النتائج منها:

ـ قدرة الشاعرين وتفوقهما فى تناول ومعالجة التجارب قد يغفل عنها كثير من الشعراء عن تناولها بهذا العمق والصدق والتفوق .

لقد نجح الشاعران فى لفت أنظارنا وإيقاظ مشاعرنا نحو أهمية دور العناصر المستضعفة فى حياتنا بصورة غير مباشرة إذ هى تتمثل فى حال المنح زينة الحياة الدنيا وتمنحها حيوية وعبقاً، كما أنها تمثل فى حال الحرمان عنصر تذكير وتقدير لنعمة الله والعمل على رعايتها.

كما نجح الشاعران فى إثارتنا وإشعارنا بواجبنا نحو العناصر المستضعفة وحاجتها إلى الرحمة و التعاطف فى أجل سلامة المجتمع وترابطه.

ـ تباينت التجربتان الشعريتان فى القصيدتين لدى الشاعرين على أن ذلك أدى إلى تكامل الرؤية حيال العناصر المستضعفة بتقديرها ورعايتهما فى صورة عبرت عن قدرة شعراء الأزهر على المعالجة الشعرية المتفوقة فى كل حال.

ـ تباينت كذلك لغة الشاعرين ، فهى قرية جزلة عند الدكتور العزب غير أنها تنشد الابتكار فى ترفع واعتزاز فى حين جاءت لغة الدكتور السمان سهلة غير أنها فى أسلوبها توصف بلغة الأسلوب السهل الممتنع .

وقد جاءت لغة كل منهما منسجمة مع طبيعة التجربة ومعبرة بصدق عن مقتضياتها .

ـ أما عن الأفكار فقد بدت جلية، قوام كل تجربة منهما فكرة أساسية تتفرع إلى أفكار جزئية متآخية فى تسلسل وتنام موضوعى حافظ على الوحدة الفنية فى كليهما.

ـ وقد استطاع الشاعران أن ينسجا لنا ملامح تجربتهما فى صور مضنية ودقيقة بدت عند الدكتور العزب أكثر ابتكاراً منها عند الدكتور السمان ، غير أن تأليف الصورة عند الدكتور السمان لم يكن ليقنع بتقليدتها حيث منحنا صوراً جزئية فيها حذاقة وطرافة وقدر من البكارة ، فى حين أبدع الدكتور العزب صورة جزئية وكلية بمهارة فائقـة.

ـ وقد اتسمت العاطفة فى قصيدة الدكتور "العزب" بالصدق والألم النبيل فى تجربة ذكية متسقة فى أفكارها ومعانيها وصورها ، كما جاءت فياضة رقراقة فى قصيدة الدكتور السمان من خلال تجربة نابضة، قد أحاط الشاعر بأبعادها فى عفوية آسـرة.

والله من وراء القصـــد

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- الأعمال الشعرية الكاملة : د. محمد أحمد العزب، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .
- أهدى سبيل إلى علمى الخليل: محمود مصطفى ، مكتبة ومطبعة صبيح ، طابعة سادسة ، سنة ١٩٦٦م .
- تجربتى فى الكتابة للأطفال: عبد التواب يوسف ومحمود قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م.
- تطور النقد العربى الحديث فى مصر :د. عبد العزيز الدسوقى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م .
- ثقافة الطفل العربى : مصطفى حجازى ، المجلس القومى للثقافة العربية ، الرباط سنة ١٩٩٠م .
- الحيوان للجاحظ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، طبعة أولى ، القاهرة سنة ١٩٢٨م .
- ديوان أبى العلاء المعرى "اللزوميات" . لزوم مالا يلزم ، دار صادر ، بيروت.
- الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر: د. أحمد فتوح أحمد ، طبعة ثالثة ، دار المعارف ، مصر سنة ١٩٨٤م .
- شعر ناجى ، الموقف والأداة : د. طه وادى ، النهضة المصرية ، القاهرة، طبعة أولى سنة ١٩٧٦م .
- صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الريان للتراث سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

ـ العروض القديم ، أوزان الشعر العربى وقوافيه : د. محمود على السمان ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٤م

ـ فى الأدب الصوفى ، دراسة تحليلية نقدية موازنة للمعانى والصور والأساليب : د. نظمى عبد البديع .

ـ النقد الحديث : د. محمد مصطفى هدَّاره .

ـ القاموس المحيط للفيروز أبادى ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠٢هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

ـ مسرح العبث، مفهومه ، جذوره ، أعلامة : د. نعيم عطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

ـ المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، طبعة ثالثة ، شركة الإعلانات الشرقية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

ـ النص الكلى : د. يوسف حسن نوفل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة كتابات نقدية سنة ٢٠٠٤م .

ـ النصوص الأدبية الحديثة، اختيار وشرح وتعليق : د. محمد سعد فشوان، مكتبة الجامعة بدمنهور ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

ـ محمد إبراهيم أبو سنة، حياته وشعره: د. محمد سلام ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية بإيتاى البارود.

ـ صحيفة الأهرام المصرية ، عدد ١٣/ ١/ ١٩٩٥م .

ـ صحيفة الأهرام المصرية ، عدد١٣/ ٣/ ١٩٩٩م .

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــة	٣٤١
الفصل الاول	٣٤٨
عن الشاعرين	٣٤٨
المبحث الاول : عن الشاعر الدكتور. محمد أحمد العزب	٣٤٨
المبحث الثاني : عن الشاعر الدكتور. محمود على السمان	٣٥٢
الفصل الثاني	٣٥٥
الدراسة تحليلية	٣٥٥
المبحث الاول : قصيدة بلاصدى . دراسة تحليلية	٣٦٢
المبحث الثاني : قصيدة بطاقة تهنئة للطفل . دراسة تحليلية	٣٧٢
الفصل الثالث	٣٨١
الدراسة الفنية	٣٨١
المبحث الاول : عن اللغة والافكار	٣٨١
المبحث الثاني : عن الصورة الشعرية	٣٨٦
المبحث الثالث : عن الموسيقى	٣٩١
المبحث الرابع : عن العاطفة والتجربة الشعرية	٣٩٤

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الرابع	٣٩٦
القصيدتان فى ميزان النقد الأدبى	٣٩٦
المبحث الأول : فى قصيدة الدكتور العزب	٣٩٦
المبحث الثاني : فى قصيدة الدكتور السمان	٤٠٠
الخاتمة	٤١٤
ثبت بالمصادر والمراجع	٤١٦
الفهرس	٤١٨